سعد القاضي

القدوة

عمر بن الخطاب

رجل بملايين الرجال

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

القدوة ... عمر بن الخطاب

رجل بملايين الرجال

تأليف

سعد القاضى

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

الكتاب : القدوة .. عمر بن الخطاب رجل بملايين الرجال

المؤلف : سعد القاضى

رقم الإيداع : ٩٢٩٣

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 512 - 5

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

ميلاده :

★ فى رحاب مكة وجوها القائظ وريحها اللافحة وصحرائها القاسية، وقبل حرب الفجار بسنين أربع ولد عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى القرشى.

★ أبوه.. الخطاب بن نفيل العدوى.. شديد البأس، قوى الشكيمة.

★ أمه.. حنتمة بنت هاشم بن المغيرة.

★ نشأ فى كنف والده.. وورث عنه طباعه الصارمة التى لا تعرف الوهن، والحزم الذى لايدانيه التردد، والتصميم الذى لا يقبل أنصاف الحلول.

عمر... فى الجاهلية:

كان من أشراف قريش وأعيانها.. وإليه كانت السفارة فى الجاهلية.... فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا - أى رسولا - وإذا فاخرهم مفاخر أو نافرهم منافر رضوا به وبعثوه مفاخرا ومنافرا (فمثلا إذا تنافر رجلان وتفاخرا.. ثم حكما بينهما واحدا.. هذا الواحد يكون عمر بن الخطاب... والمنافرة هى المفاخرة والمحاكمة).

هذا هو عمر بن الخطاب فى الجاهلية...

رجل قوى البنيان - رابط الجأش، ثابت الجنان، صارم حازم، لايعرف التردد والأرجحة، ينأى عن الذبذبة والمراوغة، لاتتناوبه أهواء متنازعة، ولا آراء مشتتة.

بل نفسه كلٌ واحد.. إذا تحرك تحركت كل قدراته، واحتشدت فى شخصية واحدة متكاملة متسقة.

فحيثما وجد عمر وجدت شخصيته وإرادته ومنهجه، فى دقة واتساق.. كأنه جيش قوى يتحرك بخطى قوية إلى اتجاه واحد محدد، بشخصية فذة يندر أن يكون هناك مثلها... فكان من كل هذا الرجل الشامخ العملاق الصارم الحازم، الصلب الصلد. الواضح وضوح الشمس، الذى إذا رأيته قرأت دخيلة نفسه.. وقد ارتسمت على ملامح وجهه، لا مخبوء فيها ولا مستور.

سبب إسلام عمر:

★ روى عن سبب إسلامه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

خرج عمر متقلدا السيف فلقيه رجل من بنى زهرة قال:

- أين تعمد يا عمر؟

فقال عمر: أريد أن أقتل محمدا.

قال: وكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا؟؟

قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟!.. إن ختنتك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامرا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب. قال: فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما، فقال:

- ما هذه الهمهمة التى سمعتها عندكم؟

- قال: .. (وكانوا يقرأون سورة طه).. فقالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما؟ قال: فقال له ختنته:

- أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك؟

قال: فوثب عمر على ختنته (زوج أخته) فوطئه وطئًا شديدًا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها.. فنفحها بيده نفحة فدمىَ وجهها.. فقالت وهى غضبى:

- يا عمر إن كان الحق فى غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله!!؟

فلما يئس عمر قال: .. أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه.!؟

قال: ... وكان عمر يقرأ الكتب.. فقالت أخته:

- إنك رجس ولايمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ... فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى إلى قوله:

﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ (طه: ١٤).

هنا.. صاح عمر قائلا: دلونى على محمد...

فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال:

- أبشر يا عمر: فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». قال: ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار، قال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ.

فلما رأى حمزة ومن معه عمر قادماً ناحيتهم دهشوا، وقالوا: نعم فهذا هو عمر.. فإن يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبى ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا.

قال: والنبى ﷺ يوحى إليه قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال عليه الصلاة والسلام لعمر:

- أما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد ابن المغيرة ؟؟

اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب.

قال: فقال عمر: أشهد أنك رسول الله!!!

فأسلم...

وقال: اخرج يا رسول الله (الطبقات الكبرى لابن سعد).

★ ★ ★

وقد كان إسلامه - رضى الله عنه - عزا للإسلام والمسلمين، ولهذا قال ابن مسعود رضى الله عنه:

- مازلنا أعزة منذ أسلم عمر!!

وقال أيضاً: كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

★ ★ ★

يقولون عن إسلامه:

★ يقول الذهبى: أسلم عمر فى السنة السادسة من النبوة، وله تسع وعشرون سنة.

★ يقول النووى: أسلم قديما بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة.

★ وعمر.. أحد السابقين الأولين.. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار النبى ﷺ وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم.

★ ★ ★

★ عمر.. من الرواة.

★ روى له عن النبى ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا.

★ روى عنه عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وابن عوف، وابن مسعود، وأبو ذر، وعمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعرى، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدرى، وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم رضى الله عنهم.

★ ★ ★

فى الأخبار الواردة فى إسلامه:

★ أخرج الترمذى عن ابن عمر:

أن النبى ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبى جهل ابن هشام.

أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما.

★ وأخرج الحاكم عن ابن عباس:

أن النبى ﷺ قال:

- اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة.

وأخرجه الطبرانى، الأوسط من حديث أبى بكر الصديق وفى الكبير من حديثِ ثوبان.

كيف وقع الإسلام فى قلب عمر؟؟

★ أخرج أحمد عن عمر قال:

- خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة (الحاقة) فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت:

- والله ما هو بشاعر كما قالت قريش، فقرأ:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠ - ٤١) .

فوقع فى قلبى الإسلام كل موقع.

★ وأخرج ابن أبى شيبة عن جابر قال:

- كان أول إسلام عمر أن عمر قال:

- ضرب أختى المخاض ليلا، فخرجت من البيت، فدخلت فى أستار الكعبة... فجاء النبى ﷺ.. فدخل الحجر.. وصلى لله ماشاء الله، ثم انصرف، فسمعت شيئا لم أسمعه من قبل.. ولم أسمع مثله، فخرج، فاتبعته، فقال: من هذا؟ فقلت: عمر، قال: يا عمر، ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا ؟ فخشيت أن يدعو علىّ، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله..

فقال: يا عمر، أَسِرّه، قلت: لا والذى بعثك بالحق لأُعْلِنَنّه كما أعلنت الشرك.

من الذى سمى عمر «الفاروق» ؟؟

★ أخرج ابن سعد عن ذكوان قال:

- قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟؟

قالت: النبى ﷺ.

★ أخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

- أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب. «إسناد صحيح حسن».

وماذا حدث للإسلام.. عندما دخله عمر؟؟

★ أخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

- لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

★ أخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

- لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٤).

★ وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال:

- «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر» .

★ وأخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:

- كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى إلى البيت حتى أسلم عمر.. فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

★ وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال:

- لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لايزداد إلا قربا، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لايزداد إلا بعدا.

★ أخرج ابن سعد عن حبيب قال:

- لما أسلم عمر رضى الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلط علينا.. ورددنا عليه بعض ما يأتى به.

كم كان يبلغ من العمر عندما أسلم؟؟

★ أخرج ابن سعد عن أسلم قال:

- أسلم عمر فى ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة.

★ ★ ★

الأسرة:

★ قال الواقدى وابن الكلبى وغيرهما:

- تزوج عمر فى الجاهلية: زينب بنت مظعون - أخت عثمان بن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة - رضى الله عنهم.

★ تزوج مليكة بنت جرول فولدت له: عبيد الله بن عمر فطلقها.. فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة.

★ وتزوج قريبة بنت أبى أمية المخزومى ففارقها.. فتزوجها بعده عبد الرحمن ابن أبى بكر.

★ وقالوا: وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها.. حين قتل فى الشام، فولدت له فاطمة ... ثم طلقها ... قال المدائنى: لم يطلقها.

★ وقالوا: وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح من الأوس.

★ وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.. وكانت قبله عند عبد الله ابن مليكة.. ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضى الله عنهم.

★ وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبى بكر الصديق وهى صغيرة وراسل فيها عائشة، فقالت أم كلثوم، لا حاجة لى فيه، فقالت عائشة:

- «أترغبين عن أمير المؤمنين»؟

قالت: نعم.. إنه خشن العيش.

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدّه عنها ودله على أم كلثوم بنت على بن أبى طالب.

★ وتزوج من فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وقال: تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ وسلم فخطبها من على فزوجه إياها، فأصدقها عمر رضى الله عنه - أربعين ألفا - فولدت له زيدا ورقية.

★ قالوا: إنه تزوج امرأة من اليمن تدعى «لهية» ولدت له عبد الرحمن الأصغر..

★ قال الواقدى: وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبة (فى الطبرى ابن ربيعة) فكرهته وقالت: يغلق بابه ويمنع خيره... ويدخل عابسا ويخرج عابسا.

الأولاد:

جملة أولاده رضى الله عنه وأرضاه: ثلاثة عشر ولدا، وهم: زيد الأكبر.. وزيد الأصغر.. وعاصم، وعبدالله، وعبد الرحمن الأكبر.. وعبد الرحمن الأوسط.. وعبد الرحمن الأصغر، وعبيد الله.. وعياض.. وحفصة.. ورقية.. وزينب - وفاطمة، رضى الله عنهم.

الزوجات:

مجموع نسائه اللاتى تزوجهن فى الجاهلية والإسلام، من طلقهن، أو مات عنهن: سبع، وهن:

★ جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح.

★ زينب بنت مظعون.

★ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

★ قريبة بنت أبى أمية.

★ مليكة بنت جرول.

★ أم حكيم بنت الحارث بن هشام.

★ أم كلثوم بنت على بن أبى طالب.

وكانت له أمتان له منهما أولاد وهما فكيهة ولهية.

وقد اختلف فى لهية هذه.. قال بعضهم: كانت أم ولد، وقال بعضهم: كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر.

★ ★ ★

سيرته قبل الخلافة:

★ وقف عمر بن الخطاب حياته بعد أن أسلم على نصرة الإسلام والذود عن حياضه.. فقد صاحب الرسول ﷺ فأحسن صحبته وبالغ فى نصرته... كان من أشد الناس على الكفر وأهله.. وشهد الغزوات مع رسول الله ﷺ .. فكان مع النبى فى بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وغيرها.

★ كان يشير على الرسول بالأمر فينزل الوحى موافقا لما أشار به.

★ وكان الصديق رضى الله عنه يستشيره فى معضلات الأمور. ومشكل القضايا... وكان الساعد الأيمن للصديق فى حرب المرتدين.

★ وعمر بن الخطاب صاحب الفضل فى حمل الصديق على جمع القرآن الكريم وتدوينه.

★ قال النووى: شهد عمر مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان ممن ثبت معه يوم أحد.

★ أخرج ابن عساكر عن على قال:

- ما علمت أحدا هاجر إلا متخفيًا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا، ثم صلى ركعتين عند المقام.. ثم أتى حلقهم واحدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده، وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى... فما تبعه منهم أحد.

★ روى عن عائشة أن عمر لما أسلم قال:

- يا رسول الله، علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟

فقال: يا عمر إنا قليل، فقال عمر: والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان.

ثم خرج فطاف بالبيت.. ثم مر بفريق وهم ينظرونه - فقال أبو جهل بن هشام: زعم فلان أنك صبأت، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

فوثب المشركون .. فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل أصبعه فى عينيه فجعل عتبة يصيح، فتنحى عنه الناس، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ يضرب كل من دنا منه حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التى كان يجلس فيها.. فأظهر الايمان.. ثم انصرف إلى النبى ﷺ وهو ظاهر عليهم، فقال:

- ما يحبسك بأبى أنت وأمى؟ فوالله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا ظهرت فيه بالايمان غير هائب ولا خائف.

فخرج رسول الله ﷺ، وعمر أمامه وحمزة بن عبدالمطلب حتى طاف بالبيت، وصلى الظهر معنا، قالوا: فنظرت قريش إلى حمزة وعمر، فأصابتهم كآبة شديدة، ومن يومئذ سماه رسول الله ﷺ الفاروق، لأنه أظهر الإسلام، وفرق بين الحق والباطل.

★ ★ ★

لأى شىء سميت الفاروق يا عمر؟؟

★ روى عن ابن عباس قال: سألت عمر: لأى شىء سميت الفاروق؟؟ فقال:

- أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدرى للإسلام، فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما فى الأرض نسمة هى أحب إلى من نسمة رسول الله ﷺ، فقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختى: هو فى دار الأرقم بن أبى الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار، وحمزة فى أصحابه جلوس فى الدار، ورسول الله ﷺ فى البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة:

- مالكم؟؟ قالوا عمر بن الخطاب، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأخذ بمجامع ثيابه، ثم نتره نترة، فما تمالك أن وقع على ركبتيه، فقال: فما أنت بمنته يا عمر؟ قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك محمد عبده ورسوله، قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، فقلت:

- يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا، قال: بلى، والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قلت: ففيم الاختفاء؟؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا ﷺ فى صفين، حمزة فى أحدهما، وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت قريش إلىّ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق، فرق الله بى بين الحق والباطل. (أخرجه صاحب الصفوة والرازى).

★ روى الحاكم عن عثمان بن عبدالله بن الأرقم عن جده الأرقم: كان رسول الله ﷺ أوى فى داره عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلمين وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب رضى الله عنهم.. فلما كانوا أربعين خرجوا إلى المشركين... قال الأرقم:

- فجئت رسول الله ﷺ لأودعه وأردت الخروج إلى بيت المقدس، فقال لى رسول الله ﷺ :

- أين تريد؟؟

قلت: بيت المقدس.

قال: وما يخرجك إليه أفى تجارة؟

قلت: لا.. ولكن أصلى فيه

فقال رسول الله ﷺ «صلاة ها هنا خير من ألف صلاة»

إيمان عمر .. جبار الجاهلية .. عملاق الإسلام:

★ بلغ عمر.. رضى الله عنه - أوجا شاهقا فى محراب الإيمان والتقوى، والتبتل والخشوع.. وعمر الذى كان بين الصحابة متفردا بالصراحة والصرامة والقوة فى الحق والشدة فى دين الله هو نفسه، الخاشع الضارع، الذى ذلت له نفسه فى الله، بل ذل له شيطانه الذى لم يجرؤ أن يسير فى طريق يسلكه عمر، بل إذا رآه ولى مدبرا ولم يعقب... وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

- يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك.

صلاة عمر.. كانت الناس تسمع نشيجه من وراء الصفوف:

★ كان فى صلاته شديد الإنابة والتبتل، واسع الخشية، يقف بين يدى الله - تعالى - كأنه ثوب ملقى لفرط خشوعه وخضوعه. فقد كان يصلى بالمسلمين أيام خلافته ويقرأ فى صلاة العشاء وصلاة الفجر سورة يوسف، فكان إذا قرأ هذه السورة يسمع الناس نشيجه من وراء الصفوف، وكان يكثر من قراءة هذه السورة فى صلاتى العشاء والفجر.

★ ★ ★

عمر... والخلافة:

★ بويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ثلاث عشرة للهجرة بعد وفاة الصديق رضى الله عنه.. واستمرت خلافته حتى سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين كلها عدل ورحمة وبر وجهاد.

★ لقد كانت أغلى أمانيه أن يظل، عمر بن الخطاب، لا غير.. فلا هو خليفة.. ولا هو أمير.

وعند اقتراب الخلافة إثر وفاة رسول الله ﷺ، إذ بسط إليه «أبو بكر» يمينه فى اجتماع السقيفة قائلا:

– هات يدك يا عمر نبايع لك، ولكن عمر خلص منها ناجيا، إذ قال: بل إياك نبايع فأنت أفضل منى. فقال أبو بكر: أنت أقوى منى يا عمر.

قال عمر: إن قوتى لك مع فضلك ...

وسارع فمد يمينه وبايع أبا بكر وبايعه الناس على أثره!

★ وحين كان أبو بكر يودع الدنيا، ويعهد بالخلافة «لعمر» كان «عمر» يتقبل مكرها وكارها إمارة المؤمنين، ولولا أن يكون باعتذاره عنها فى هذا الظرف الحرج الدقيق هاربا من واجب سيسأله الله عنه غدا لهرب من الإمارة.

★ انتبهوا إلى قوله للناس:

«أيها الناس.. إنى قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعا بأموركم ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر انتظار الحساب».

هل انتبهتم إلى قوله هذا؟. إنه يكفيه انتظار الحساب.

إن عمر مشغول بشيء واحد فقط.. هذا الشيء الواحد هو الكلمة التى سيقولها لله !!!!

لهذا .. كانت حياة الفاروق رضى الله عنه حافلة بجلائل الأعمال فقد قوض الله على يديه أعظم إمبراطوريتين فى ذلك العصر: الروم والفرس، وتمت فى عهده فتوحات واسعة، تسير جيوشه مكللة بأكاليل النصر والظفر، لا تنكس لها راية، ولا يطوى لها لواء، ناشرة عقيدة التوحيد أينما ألقت عصا التيار، حاملة مبادىء الخير والعدل والرحمة إلى كل الأقطار والأمصار.

ومن أهم هذه الفتوحات فتوحات الشام.. وهذه أهم معاركها فى عهد عمر.. من هذه الفتوحات:

١ - فتح دمشق.

٢ - فتح الأردن.

٣ - وقعة فحل.

٤ - فتوح العراق... وتشمل:

(أ) وقعة الجسر.

(ب) وقعة البويت.

(جـ) غزوة القادسية.

(د) فتوح المدائن.

(هـ) وقعة جلولاء.

(و) فتح حلوان.

(ز) فتح تكريت والموصل.

★ فى عهد عمر تم فتح بلاد الشام جميعها. وتم فتح مصر وكل ذلك فى مدة لا تزيد على عشر سنوات - وفتحت فارس كلها ووقف المسلمون من جهة الشرق على نهر السند ونهر جيجون.

★ ★ ★

عمر .. والقرآن ..
وهل صحيح أن فى القرآن رأيا من رأى عمر؟

★ أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن.

★ وأخرج ابن عساكر عن على قال: إن فى القرآن لرأيا من رأى عمر.

★ وأخرج عن ابن عمر مرفوعا:

- ما قال الناس فى شىء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

★ وأخرج الشيخان عن عمر قال:

- وافقت ربى فى ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥).

وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبى عليه الصلاة والسلام فى الغيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ... فنزلت كذلك.

★ وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربى فى ثلاث: فى الحجاب وفى أسارى بدر وفى مقام إبراهيم... ففى هذا الحديث خصلة رابعة.

★ وفى التهذيب للنووى: نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر، وفى الحجاب، وفى مقام إبراهيم، وفى تحريم الخمر، فزاد خصلة خامسة... وحديثها فى السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا، فأنزل الله تحريمها.

★ وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس، قال: قال عمر:

- وافقت ربى فى أربع.. نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢) ، فلما نزلت قلت أنا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) .

فزاد فى هذا الحديث خصلة سادسة.

★ كتاب «فضائل الإمامين» لأبى عبدالله الشيبانى، يقول لقد وافق عمر ربه فى واحد وعشرين موضعا.. فذكر هذه الستة.

★ وزاد سابعا قصة عبد الله بن أبى.. قال:

- لما توفى عبدالله بن أبى دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه عمر حتى وقف أمام صدره.. فقال عمر لرسول الله:

- يا رسول الله، أَوَعلى عدو الله ابن أبى القائل يوم كذا كذا؟.. فو الله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ (التوبة: ٨٤) .

★ **ثامنا**: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ .. (البقرة: ٢١٩).

★ **تاسعا**: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَاةَ﴾ (النساء: ٤٢).

★ **عاشرا**: لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم قال عمر: سواء عليهم، فأنزل الله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ (المنافقون: ٦).

★ **الحادى عشر**: لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة فى الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج، فنزلت ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾. (الأنفال: ٥).

★ **الثانى عشر**: لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة فى قصة الإفك. قال عمر: من زوّجها يا رسول الله ؟

قال: الله .

قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٦) ، فنزلت كذلك.

★ **الثالث عشر**: قصته فى الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه، وكان ذلك محرما فى أول الإسلام، فنزلت : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

★ **الرابع عشر**: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ (البقرة: ٩٧).

يقول ابن أبى حاتم عن عبدالرحمن بن أبى ليلى: أن يهوديا لقى عمر، فقال: إن جبريل الذى يذكره صاحبكم عدو لنا... فقال عمر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨). فنزلت على لسان عمر.

★ **الخامس عشر**: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قال ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الأسود:

- اختصم رجلان إلى النبى ﷺ ، فقضى بينهما، فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب.. فأتينا إليه - فقال الرجل:

- قضى لى رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذى قال «ردنا إلى عمر» فقتل وأدبر الآخر... فقال: يا رسول الله، قتل عمر - والله - صاحبى، فقال: ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (النساء: ٦٥)، فأهدر دم الرجل وبرىء عمر من قتله.

★ **السادس عشر**: الاستئذان فى الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائما.. فقال: اللهم حرم الدخول، فنزلت آية الاستئذان.

★ **السابع عشر**: قوله فى اليهود: إنهم قوم بهت.

★ **الثامن عشر**: قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠، ٤١).

★ **التاسع عشر**: رفع تلاوه (الشيخ والشيخة إذا زنيا) (الآية).

★ **العشــــرين:** قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان: أفي القوم فلان؟

«لأنجينه» فوافقه النبى ﷺ.

★ **الحادى والعشرين:** قال كعب الأحبار: ويل ملك الأرض من ملك السماء فقال عمر: إلا من حاسب نفسه.

فقال كعب: والذى نفسى بيده إنها فى التوراة لتابعتها ..... فخر عمر ساجِدا.

يقول السيوطى: رأيت فى الكامل لابن عدى عن طريق عبد الله بن نافع - وهو ضعيف - عن أبيه عن عمر أن بلالا كان يقول - إذا أذن - أشهد أن لا إله إلا الله، حى على الصلاة - فقال له عمر: قل فى أثرها: أشهد أن محمدا رسول الله.. فقال النبى ﷺ لبلال: قل كما قال عمر.

★ ★ ★

«أمير المؤمنين» .. من الذى سماه بهذا الاسم؟؟

أخرج العسكرى فى الأوائل، والطبرانى فى الكبير، والحاكم، من طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة: لأى شىء كان يكتب «من خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فى عهد أبى بكر؟

ثم كان عمر كتب أولا «من خليفة أبى بكر» .

فمن أول من كتب «أمير المؤمنين» ؟؟

فقال: كان الصديق أبو بكر يكتب: من خليفة رسول الله.

وكان عمر يكتب: من خليفة خليفة رسول الله.

حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة، وعدى بن حاتم، فقدما المدينة ودخلا المسجد، فقابلهما عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه.. فدخل عليه عمرو:

فقال: «السلام عليكم يا أمير المؤمنين».

فقال: مابدا لك فى هذا الاسم؟ لتخرجن مما قلت: «فأخبره»

قال: أنت الأمير.. ونحن المؤمنون.. فجرى الكتاب بذلك من يومئذ.

وسمى «أمير المؤمنين».

★ وقال النووى فى تهذيبه: سماه بهذا الاسم عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق.

★ وقيل: إن عمر قال للناس: أنتم المؤمنون، وأنا أميركم، فسمى أمير المؤمنين

★ وقيل: اتفق الجميع أن الذى سماه بهذا الاسم عدى بن حاتم.. ولبيد بن ربيعة.

★ قال الواقدى: حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم عن أبى عمرو، قال: قلت لعائشة:

- من سمى الفاروق أمير المؤمنين ؟؟

قالت: النبى ﷺ .. قال: أمير المؤمنين هو عمر .. وأول من حياه بها - المغيرة ابن شعبة - وقيل غيره ... فالله أعلم.

★ قال ابن جرير: لما ولى عمر قالوا: يا خليفة رسول الله.

فقال عمر: هذا أمر يطول، كلما جاء خليفة قالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ .. بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم .... فأنا أمير المؤمنين.

★ ★ ★

عمر ... والمسئولية عن الدين الجديد

لقد كان يوم أسلم، العضو الأربعين بين رجال هذه الجماعة المؤمنة ولايكاد يمضى علىٰ إسلامه لحظات .. أجل لحظات .. حتى ينتفض فى قلبه الشجاع إحساسه بمسئوليته عن الدين كله، وعن هذه الجماعة المسلمة كلها ، بل ومسئوليته عن مستقبل الدين وأهله عبر القرون الآتية والدهور المقبلة.

ومن ثم يخرج من فوره معلنا إسلامه.. وهو آنئذ يدرك تماماً أنه لايعلن إسلامه هو.. بل يعلن إسلام التسعة والثلاثين الذين سبقوه إلى الإسلام، والذين يعبدون الله خفية.. بل يعلن أيضاً إسلام مئات الملايين القادمة عبر المستقبل.

ولاتقف مسئوليته عن هذا الدين الذى اعتنقه بإعلان إسلامه، بل تجاوز ذلك إلى إخراج الإسلام والمسلمين من الخفاء الذى اضطرهم إليه اضطهاد قريش.

وهكذا يذهب إلى رسول الله قائلا:

- «والله يارسول الله لن نعبد الله سرا بعد اليوم» .

وتخرج الدعوة لتواجه خصوعها وتنادى الموعودين بها. وتتلقي قريش من تكبيراتها المدوية أولى الكلمات فى منشور نعيها، ونعى أصنامها؟!!

كانت أولى هذه الكلمات بركات «عمر»

وكان هذا نموذجا للأسلوب الذى سيتحمل به «عمر» مسئولياته عن دين الله، ودنيا الناس.

إنه أسلوب رجل يرى نفسه تجاه الأحداث والمواقف، وكأنه المسئول الأوحد عنها... فكل أزمة ستواجه الإسلام والمسلمين، سيجابهها «عمر» بوصفه المسئول وحده

عن مقارعتها وحلها.. وإيمانه بمسئوليته هذه سيدفعه إلى أن يرفض على طول الخط كل دنيّة فى الدين، وكل ملاينة لأعداء هذا الدين.

وعلى الرغم من إيمانه المطلق برسول الله ﷺ، فإن مسئوليته ستتحرك فى كل الاتجاهات حتى لو تجعله يبدو - معارضا - الرسول ﷺ الذى يقدره ويقتدى به !!

ففى صلح الحديبية يرى «عمر» أن المزايا التى أعطاها الرسول عليه السلام لكفار قريش سخية وكثيرة وهو يؤمن بضرورة مناجزتهم ودخول مكة عليهم طوعا منهم أو كرها لهم، ماداموا لايريدون أن يجنحوا للسلم، ويحتكموا إلى الحق.

وما دام الحق والباطل فى معركة، فلابد للحق أن يستعلى، بدل أن يهادن... ولابد له أن يناجز . بدل أن يساير.

هكذا فهم «عمر» المسألة، وكون الرأى، ولم يكن للجهر به من مفر.

وهكذا أقبل على رسول الله ﷺ قبل أن يبدأ الكاتب فى تحرير صحيفة المعاهدة، وقال:

- يا رسول الله، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟

قال الرسول: بلى ..

قال عمر: أليس قتلانا فى الجنة، وقتلاهم فى النار .. ؟

قال الرسول: بلى ..

قال عمر: فعلام نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم.

قال الرسول: لابن الخطاب؟

إنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبدا.

ويذهب غير بعيد، يدير خواطره على الموقف كله، ويعود إحساسه العارم بالمسئولية فيغالبه، ويغريه بالمعاودة، فينطلق حثيثا إلى أبى بكر رضي الله ويسر فى أذنه الحديث:

- يا أبا بكر، ألسنا على الحق، وهم على الباطل ..؟

- بلى يا عمر ..!

- فلماذا إذن نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم..؟!

و ... ويطمئنه أبو بكر إلى أن الله لن يتخلى عن رسوله، وأن فتح الله قريب.

يهدأ عمر..

يهدأ عمر.. وإن كان هدوءُه هذا لم يمنعهَ من أن يتحمل مسئولية هذا الدين العظيم.

وتظهر المسئولية مرة أخرى .

تظهر عندما مات عبد الله بن أبى بن سلول، وكان كبير المنافقين فى المدينة، عارض «عمر» فى إصرار صلاة رسول الله عليه.

يقول «عمر» عن هذه الواقعة:

لما توفى عبدالله بن أبى، ودعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه.. فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يا رسول الله، أعلى عدو الله تصلى ؟؟ وأخذت أعدد مساوىء هذا المنافق ورسول الله ﷺ يبتسم.. حتى إذا أكثرت عليه، قال: أَخِّر عَنّى يا عمر، إنى خيرت فاخترت، قد قيل لى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أنى أعلم إن زدت على السبعين غفر له، لزدت... ثم صلى عليه ومشى مع جنازته وقام على قبره حتى فرغ منه.. ويكمل «عمر» حديثه فيقول:

«فعجبت لى، ولجرأتى على رسول الله، فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت الآية»: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا * وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (التوبة: ٨٤) .

فما صلى بعدها رسول الله على منافق... ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل..!!!

هذا المشهد يكشف عن الطريقة التى كان «عمر» يحمل بها مسئولياته فى شجاعة وصدق.

فركوب مخاطر الدنيا كلها أهون عليه من أن يقول للرسول: لا، ولكنه إنسان لا يملك أمام مسئولياته خيارا، ومادام يرى من واجبه أن يقول: لا ... فليقلها وأمره إلى الله، فإذا استمسك الرسول بموقفه، يكون «عمر» قد قال كلمته. وأبرأ ذمته، وليس أمامه بعد هذا سوى سبيل الطاعة والإيمان.

ولعمر وجهة نظرة فى هذه القضية أو فى هذه الواقعة:

إنه فى هذه الواقعة قدر أن صلاة الرسول على منافق كبير كعبد الله بن أبى ابن سلول، عمل يغرى المنافقين بمزيد من اللؤم والصلف ويضائل من حرمة الصدق والإخلاص عند كثير أو قليل من الناس.

وإجلاله المسئولية يدعوه لإعلان هذا الرأى، حتى فى مثل هذا الموطن... حيث وقف رسول الله بالفعل ليصلى على جثمان الرجل فيعترضه عمر... ويقول: أعلى عدو الله تصلى يا رسول الله ؟

على أن تناول «عمر» مسئولياته، يبدو أروع وأبهى ما يكون عندما صار أميرا للمؤمنين..!!

هنا نلتقى بأعظم آيات التفوق الإنسانى...

نعم . . .

هنا، تبصر تَنَوُّعَ النفس .

هنا، تبصر بطولة الروح وإعجاز السلوك.

هنا، نرى مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا يكاد يخطر على قلب بشر.

نعم . . .

هنا العظائم تتفوق على نفسها، وتزحم بعضها بعضا .

هنا .. «عمر».

هنا .. «عمر» .. ورضى الله عن «عمر».

هنا .. سنجد حاكمًا يحمل مسئولياته على نمط فذ.

هنا .. سنجد حاكمًا يعطى الناس جميعا إلى آخر لحظة فى الأبدية، درسا فى الأمانة - أى درس، وقدوة فى الذمة - أى قدوة ... فى مواقفه العديدة :

موقفه من نفسه

موقفه من أهله

موقفه من الضعيف

موقفه من القوى

موقفه من قومه

موقفه من أمته

موقفه عن ولائه

موقفه من أموال الأمة

مواقفه هذه .. المترعة بإجلال منقطع النظير لمسئوليته تجاه عمله، وتجاه أمانة الحكم فى كل مجال الحكم ومظاهره.

أما «عمر» كحاكم، فقدحرم نفسه لا من الطيبات المشروعة للحاكمين فحسب، بل من الطيبات المشروعة للمواطن العادى فى كل زمان ومكان.

ولماذا فعل ذلك؟؟

فعل ذلك بروح المسئولية التى حببت إليه أن يكون أول من يجوع إذا جاع قومه .. وآخر من يشبع إذا شبعوا.. والتى فرضت عليه أن يعانى كل ما يعانيه الناس من عمل وشظف.

إنه هنا يصور لنا هذا الضمير القوى فى فلسفة حكيمة فيقول:

- «كيف يعنينى شأن الناس، إذا لم يصبنى ما يصيبهم»

وهكذا رأينا أمير المؤمنين، يلتزم أكل الزيت، حين أصاب المسلمين أزمة شديدة فى اللحم والسن، ويدمن ابن الخطاب أكل الزيت حتى تئن أمعاؤه وتقرقر.. فيضع كفه على بطنه، ويقول:

«أيها البطن لِتَمْتَرِن على الزيت، مادام السمن يباع بالأواقى»

وفى عام الرمادة، وكان عام مجاعة قاتلة فى المدينة، أمر يومها بنحر جزور، وتوزيع لحمه على أهل المدينة.

وقام المختصون بإنجاز المهمة ... بيد أنهم استبقوا لأمير المؤمنين، أطيب أجزاء الذبيحة.

وعند الغداء، وجد «عمر» أمامه على المائدة، سنام الجزور وكبده... وهما أطيب ما فيه.. فقال:

- من أين هذا؟؟

قيل: من الجزور الذى ذبح اليوم.

فقال: وهو يزيح المائدة بيده الأمينة:

- «بخ بخ» بئس الوالى أنا، إن طعمت طيبها، وتركت للناس كراديسها.. يعنى عظامها، ثم نادى خادمه أسلم... وقال له:

- يا أسلم، ارفع هذه الجَفْنة، وائتنى بخبز وزيت.

يقول الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه خلفاء الرسول:

إن قوله: «بئس الوالى أنا، إن طعمت طيبها».

يرسم الصورة الكاملة المضيئة لروح المسئولية التى كانت تسيطر على تصرفات ذلك العاهل المنقطع النظير... حقا إنه رجل بملايين الرجال.

إنه رجل يرى نفسه واحدا من الناس آثره الله عليهم بمزيد من التبعة والواجب حين ولاه أمرهم، واستخلفه عليهم، ولم يؤثره بامتياز يجعل الحكم كلا مباحا، وقنصا براحا.

على أن «عمر» وهو أمير المؤمنين، بذل من الجهد، ما يشفع له إن هو امتّار لنفسه طعمة طيبة تعينه وتقويه ...

ذات يوم يتلقى من أحد ولاته هدية من الحلوى، ولاتكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسول الذى جاء يحملها.

- ما هذا ؟؟

قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلنى بها إليك عتبة بن فرقد، - وكان واليا على أذربيجان - فذاقها «عمر» فوجد بها مذاقا شهيا، فعاد يسأل الرسول:

- أكل المسلمين هناك يطعمون هذا .. ؟؟

قال الرجل: لا.. وإنما هو طعام الخاصة فأعاد «عمر»: إغلاق الوعاء جيدا... وقال للرجل:

- أين بعيرك؟ خذ حملك هذا، وارجع به لعتبة، وقل له «عمر» يقول لك: اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه .. !!

هكذا كانت مسئولية عمر

لقد اختار لنفسه دوما آخر مقعد.. فى آخر صف.. ليحرس القافلة.. وليتأكد إذا كان ثمة نعمة مقبلة، إنها لم تبلغه إلا بعد أن تكون قد مرت بالناس جميعا.

عمر.. وتحمله للمسئولية

«عمر - رضى الله عنه - فى تحمل المسئولية نمط فذ، وقدوة صالحة بدليل موقعه عام الرمادة، حيث أعطى حكام الدنيا بخاصة، والبشرية بعامة درسا فى الأمانة أى درس، ومثلا فى السهر على أمور الناس أى مثل!! وكانت له يومئذ مواقف مترعة بالجلال والإكبار، تعالت على الوصف، وتناهت فى الكمال.

«فقد عم أرض الحجاز قحط شديد.. فأصاب الناس جهد جهيد، وأجدبت البلاد، وهلكت الماشية وجاع الناس حتى كانوا يرون وهم يأكلون الرمة ويحفرون نفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها، وجعلت الوحوش تأوى إلى الأنس لأنها لا تجد ما تأكله».

واسودت الأرض من قلة المطر حتى عاد لونها شبيها بالرماد فى ذلك العام عام الرمادة.

فاغتم عمر لذلك غما شديدا، وكان يلجأ إلى الله - تعالى - بالدعاء فى الليل حتى رفع الله - تعالى - البلاء حين أرسل إليه عمرو بن العاص والى مصر ما يحتاجه الناس من الطعام.. وقال لعمر:

- لأبعثن إليك ببعير أولها عندك وآخرها عندى.

واستسقى عمر والمسلمون، فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدوان، وأطبقت السماء عليهم أياما.

وقد جرت على لسانه - رضى الله عنه - ينابيع الحكمة وفاضت قريحته بمواعظ وعبر، وهى نعمة من لدن الفتاح العظيم.

ومن ينابيع حكمة عمر:

أنه قال للناس ناصحا ومرشدا:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر، قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨) .

ومن ينابيع حكمته، أنه نهى عن كثرة الضحك والكلام فقال للأحنف:

يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته ومن فرح استخف به، ومن أكثر من شىء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

وعن الحج.. يقول على المنبر:

أخرج ابن الضياء عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب الناس فقال:

- من أراد منكم الحج فلا يحرمن إلا من ميقات، والمواقيت التى وقتها لكم رسول الله ﷺ :

لأهل المدينة ومن مر بها من غير أهلها ذو الحليفة.

ولأهل الشام ومن مر بها من غير أهلها الجحفة.

ولأهل نجد ومن مر بها من غير أهلها قرن.

ولأهل اليمن باعلم.

ولأهل العراق وسائر الناس ذات عرق. (كذا فى الكنز ح٣، ص٣٠)

وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو عبيدة عن ابن عباس قال:

خطب عمر رضى الله عنه فذكر الرجم فقال: لا تُخْدَعَنّ عنه فإنه حد من حدود الله ألا إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده... ولولا أن يقول قائلان زاد عمر فى كتاب الله ما ليس منه لكتبت فى ناحية المصحف، شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده - ألا وأنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة وبعذاب القبر.

وحج عمر سنة ثلاث وعشرين

أخرج عن ابن عمر أن عمر حج ثلاثا وعشرين فأنفق فى حجته ستة عشر دينارا.... فقال: يا عبدالله، أسرفنا فى هذا المال.

وبينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه

فلولا حذار الله لاشىء مثله ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : مالكِ؟

قالت: أغزيت زوجى منذ أشهر، وقد اشتقت إليه.

فقال: أردتِ سوءا؟

قالت: معاذ الله؟

قال: فاملكى عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه.

فبعث إليه... ثم دخل على حفصة فقال:

- إنى سائلك على أمر قد أهمنى فأفرجيه عنى؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟؟

فخفضت رأسها واستحيت... قال: فإن الله لايستحى من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر.

فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر ... حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال.

عمر القدوة:

أخرج عن عكرمة بن خالد قال: دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسنا، فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه، فقالت له حفصة: لم ضربته؟؟ قال: رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه.

أخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال:

- بينما عمر واقف على جبل عرفة يسمع رجلا يصرخ ويقول:

- «يا خليفة الله».. فسمعه رجل آخر يعتافون فقال:

- «مالك فك الله لهواتك»؟.. فأقبلت على الرجل فصحت عليه.

فقال جبير: فإنى الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذْ جاءت حصاة عائرة

ففتقت رأس عمر، فقصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول: أشعرت ورب الكعبة، لايقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا... قال جبير: فإذا هو الذى صرخ فينا بالأمس، فاشتد ذلك على.

عندما تذكر عن ماضيه:

حج مرة فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العلى العظيم المعطى من يشاء ما شاء.. كنت بهذا الوادى فى مزرعة صوف أرعى إبل الخطاب، وكان فظا يتبعنى إذا عملت ويضربنى إذا قصرت... وقد أمسيت الليلة وليس بينى وبين الله أحد ثم أنشد:

لاشىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والجن والأنس فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت نوافلها ... من كل حدب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوما كما وردوا

★ ★ ★

عمر ... وموقفه من أهله وأسرته

إذا تحدثنا عن موقف عمر بن الخطاب من أهله وأسرته، وجدنا تقديسا للمسئولية لا يضاهيه تقديس.. وإكبارا لأمانة الحكم لا يضاهيه إكبار.

إنه لا يحرمهم مما ليس لهم بحق فحسب، بل مما هو لهم حق مشروع، وإنه ليحملهم من المسئوليات أضعاف ما يحمله نظراؤهم من الناس، حتى صارت قرابة «عمر» عبئا يود الأقرباء لو استطاعوا منه الفرار..!!

إن أمير المؤمنين يعلم أن أمانة الحكم لا تمتحن امتحانها الوثيق إلا هنا فى علاقات الحاكم بأهله، هل لهم قانون، وللناس قانون؟ أم أنهم والناس سواسية أمام قانون واحد، وعدالة واحدة؟؟

من أجل هذا بالغ فى إلزامهم جميعا مسئولية القدوة.

ولطالما حملهم على شظف العيش.. ولطالما انتزع من أيديهم، بل أفواههم اللقمة الطرية.

ولقد كانت الأرض تميد، والسماء تمور، حين يعلم أن أحدا من أسرته ذهب بامتياز، أى امتياز..!!

وكان إذا سن قانونا، أو حظر أمرا، جمع أهله أولا. وقال لهم:

إنى قد نهيت الناس عن كذا وكذا ...

وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإنى والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه منى... فمن شاء منكم فليتقدم، ومن شاء فليتأخر.

أرأيتم ماذا قال لأهله؟؟

إنه يحذرهم.

يحذرهم بأنه سيضاعف له العذاب لمكانته منه .

كم أنت عادل يا ابن الخطاب .

إن القربى من عمر لا تعنى أن العدل فى إجازة .

إن القربى من عمر لا تعنى أن القانون لغو .

إن القربى من عمر تعنى أضعافا مضاعفة من التبعة والمسئولية والحرمان .

إن القربى من عمر تعنى البعد عن كل شبهة، والتخلى عن كل متعة .

إن القربى من عمر تعنى أن يتقدم هؤلاء الأقرباء عند الخطر... ويتأخرون عند المغنم.. بل هى كذلك تعنى عند «عمر» حرمانهم من حق مكتسب، تفاديا لشبهة محتملة.. حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال .

تعالوا نشاهده وهو يعاتب ولده «عبدالله بن عمر» مع أن عبد الله رضى الله عنه كان إماما فى الورع والزهد والتقى.

نعم . . فقد كان عبد الله «يتبع خطا أبيه، ولم تكن نفسه لتزين له شبهة من سوء».

ومع هذا . . . فما كاد «عمر» يراه يستروح نعمة متواضعة من نعم الحياة الدنيا، إلا قال له:

- ألأنك ابن أمير المؤمنين؟؟

لقد رفع عمر لابنه عبد الله شعار أهله .

ألأنك ابن أمير المؤمنين؟؟

إنها جملة تمثل الشعار الحق الذى رفعه «عمر لأهله خاصة، وللناس كافة تجاه الحق والعدل.

تعالوا نذهب معه إلى السوق.

خرج إلى السوق يوما فى جولة تفتيشية.. فيرى إبلا سمانا تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلائها، فيسأل:

- إبل من هذه؟؟

قالوا: إبل عبد الله بن عمر ..

عندما سمع «عمر» ذلك ينتفض.. وينتفض - وينتفض - كأنما القيامة قامت .. وقال:

- عبد الله بن عمر .. ؟؟ بخ بخ يابن أمير المؤمنين!!

وأرسل فى طلبه فورا.

وأقبل عبد الله يسعى ..

وحين وقف بين يدى والده أخذ «عمر» يفتل سبلة شاربه - وتلك كانت عادته إذا أهمه أمر خطير - وقال لابنه:

- ما هذه الإبل يا عبد الله ؟؟

فأجاب: إنها إبل أنضاء - أى هزيلة - اشتريتها بمالى، وبعثت بها إلى الحمى - أى المرعى - أتاجر فيها - وابتغى ما يبتغى المسلمون..

ويعقب - عمر - فى تهكم لاذع:

ويقول الناس حين يوردونها... ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين.

اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين.

وهكذا تسمن إبلك... ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين!!

... ثم صاح به.

صاح به مقولة تهز جبال الحق ..

لقد قال الأب لابنه:

- يا عبد الله بن عمر، خذ رأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل، واجعل الربح فى بيت مال المسلمين !؟!!

سبحانك . . .

سبحانك يا خالق هذا الإنسان .

إن «عبد الله» لم يأت أمرا نكرا، إنما يستثمر ماله الحلال فى تجارة حلال.. ثم هو بدينه القوى وأخلاقه الأمينة فوق كل شبهة.

ولكن . . .

ولكن لأنه ابن أمير المؤمنين، يحميه أمير المؤمنين، مما هو له حق مظنة أن تكون بنوته لعمر، قد هيأت له من الفرص ما لا يتوافر لغيره من الناس.

يدخل يوما دار ابنه عبد الله، فيجده يأكل شرائح لحم، فيغضب ويقول له:

- ألأنك ابن أمير المومنين تأكل لحما، والناس فى خصاصة ؟

ألاخبزا وملحا؟ ألاخبزا وزيتا ؟؟

يصل إلى المدينة يوما بعض أموال الأقاليم.. فتذهب إليه ابنته «حفصة» رضى الله عنها، لتأخذ نصيبها وتقول له كعادتها مداعبة:

- يا أمير المؤمنين، حق أقاربك فى هذا المال، فقد أوصى الله بالأقربين.

فيجيبها جادا:

- يا بنية، حق أقربائى فى مالى، أما هذا فمال المسلمين .. قومى إلى بيتك.

إن حفصة لم تكن تقصد إلا المداعبة ولكنه كان جادا فى إجابته لها.

ماذا أقول.. أو ماذا تقولون عن هذا الرجل؟؟

إنه حاكم يمسك الميزان فى رهبة لا تماثلها رهبة... إنه لا يريد من أهله أن يكونوا أهل حظوظ ومزايا فحسب .. بل إنه ليضطرهم إلى أن يعيشوا معه فوق صراط أحد من الشفرة وأرق من الشعرة حتى لكأنما رزئوا بقرابة «عمر» بدل أن يهنأوا بها ويتبذخوا فيها.. حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال.

هذا رجل تربى على يد «محمد» رسول الله ﷺ. ولطالما رآه يقول لأحب الناس إليه، ابنته «فاطمة البتول»:

- لا يا فاطمة.. إن فى المسلمين من هم أحوج منك لهذا المال ثم يحرمها ويعطى سواها.

من هذا المنهل ارتوى «عمر» وعلى هذا الهدى سار، ومع هذه القدوة عاش «عمر».

ماذا يريد عمر من أهله ؟؟

إنه يريد من أهله وذويه أن يرتفعوا دوما إلى مستوى المسئولية لا الحظوة... فليس لدى «عمر» حظوة لإنسان.

هو يريد منهم أن يكونوا عونا له على واجبه، وذلك يقتضيهم أن يبذلوا جهدا أكبر، ويحرزوا تفوقا أكبر.

هو يريد منهم أن يعطوا كثيرا، ويأخذوا قليلا.. وينتظروا من الله حسن الثواب.

أجل .. يقتضيهم أن يكونوا قدوة لأهل العفاف والكفاف.

حين أفاء الله على المسلمين فى عهده خيرا كثيرا، وامتلأ بيت المال بالمال، أشار عليه نفر من صحبه، أن يقوم بإحصاء الناس ورصد أسمائهم في ديوان، حتى ينالوا جميعا رواتبهم السنوية فى نظام محكم.. واختير لهذه المهمة - عقيل بن أبى طالب، وجبير بن مطعم، ومخرمة بن نوفل - وكانوا أعلم الناس فى أنساب قريش وأكثرهم معرفة بالمسلمين.

جلسوا يدونون الأسماء .. بادئين ببنى هاشم ثم بآل أبى بكر ثم بنى عدى آل عمر.

فلما طالع أمير المؤمنين الكتاب رده إليهم وأمرهم أن يقدموا على آل عمر كثيرين غيرهم اقترح أسماءهم وذكر عائلاتهم ... وقال: ضعوا عمر وقومه موضعهم.

وعلم بنو عدى بهذا ....

فذهبوا إليه راجين أن تظل أسماؤهم فى مقدمة الديوان كى ينالوا أنصباءهم والمال وفر.. وقالوا له: ألسنا أهل أمير المؤمنين...؟

فأجابهم عمر:

- بخ بخ بنى عدى ... أردتم الأكل على ظهرى.. وأن أهب حسناتى لكم لا والله لتأخذن مكانكم ولو جئتم آخر الناس.

قال أحدهم: إن القرابة من أمير المؤمنين، لاتعنى الأثرة والحظوة إنما تعنى العرق والشظف.

ولقد رفض أمير المؤمنين إلحاح أصحابه وإخوانه لكى يولى ابنه عبدالله منصبا من مناصب الدولة.

ولقد كانوا فى إلحاحهم مدفوعين بحرصهم الشديد على الانتفاع بمواهبة النادرة، ولكن «عمر» رفض كما رفض عند موته أن يرشحه للخلافة.

بل رفض أن يجعله ضمن الستة الذين رشحهم هو ليختاروا من بينهم خليفة، قائلاً:

- حسب آل عمر أن يحاسب منهم واحد، هو عمر

ولكن ...

ولكن يا أمير المؤمنين.

ولكن يا ابن الخطاب.

إن ولدك عبد الله هو التقى العادل، فهل ذنبه، وذنب الناس الذين ستسعدهم ولايته أنه ابن أمير المؤمنين ؟!

يقول أحدهم:

- طالما قيل هذا القول لعمر.. فيذكر قائليه بأن عبد الله ليس هو التقى العادل وحده، وهناك فى المسلمين نظراء له فى العدل والتقوى، فإذا آثره «عمر» عليهم يكون قد حابى وحامل.

ثم إن «عمر» رجل قدوة قبل أن يكون رجل «حكم» .

فإذا استعمل اليوم صالحى أهله، فأين يذهب إذا جاء من بعده حكام يسرفون فى تولية أهليهم، ويقولون: لقد فعل هذا عمر .!!

لقد وضع «عمر» مبدأ جليلا..

يقول المبدأ: **«من استعمل رجلا لمودة أو قرابة، لا يحمله على استعماله إلا ذلك.. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».**

تعالوا نسمع شكواه من أهل الكوفة.. فقد جلس يوما بين أصحابه وقال:

- أعيانى أهل الكوفة... إن استعملت عليهم لينا استضعفوه، وإن وليتهم القوى شكوه، ولوددت أنى وجدت قويا أمينا مسلما، أستعمله عليهم.

فقال أحد جلسائه: أنا والله أدلك على القوى الأمين المسلم

قال: عمر متحفزا: من هو ؟؟

قال الرجل: عبد الله بن عمر .

فأجاب أمير المؤمنين قائلا:

- قاتلك الله ، والله ما أردت عبد الله بهذا..

ثم اختار وليًّا آخر .. !!

لقد كان يوصى ابنه عبد الله .. فيقول له:

- يا بنى عليك بخصال الإيمان .

قال: وما هى يا أبت؟؟

قال: الصوم فى شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى، وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم، وترك روعة الخبال.

قال: وما روعة الخبال ؟

قال: شرب الخمر .

★ ★ ★

هذه هى مسئولية القدوة
عمر ... الذى كان يحمل فى أمانة كاملة مسئولية القدوة

لقد حرم عمر نفسه من طيبات كثيرة، ومن مناعم لم يحرمها الله عليه.. لأنه كان يرى نفسه عاجزا عن شكر القليل، فلم يرد أن يتورط فى عجز أكثر أمام النعم الكثيرة، ولأنه كان يحمل فى أمانة مسئولية القدوة.

ولو شاء أن يظفر بالمناعم المباحة على كثرتها لظفر بها جميعا ولكن بطولة روحه وعظمة نفسه، واستقامة نهجه حملته دائما على أن يلتزم الكفاف ويختار الشظف.

تعالوا نعش هذه الزيارة:

زاره يوما «حفص بن أبى العاص» وكان عمر جالسا إلى طعامه، فدعا إليه حفصا، ولكن حفصا رأى القديد اليابس الذى كان يأكل منه عمر. فلم يشأ أن يكبد نفسه وراء ازدراء، ولا أن يجشم معدته الهضمة، فاعتذر شاكرا.

وأدرك «عمر» سر عزوفه عن طعامه، فرفع بصره نحوه وسأله: ما يمنعك عن طعامنا؟

ولم تنقص الصراحة حفصا فقال: إنه طعام غليظ خشن وإنى راجع إلى بيتى فأصيب طعاما لينًا قد صنع لى.

فقال عمر:

- أترانى عاجزا عن أن آمر بصغار المعزى، فيلقى عنها شعرها وآمر برقاق البر، فيخبز خبزا رقاقا، وآمر بصاع من زبيب فيلقى فى سمن، حتى إذا صار مثل لبن الحجل صب عليه الماء، فيصبح كأنه دم غزال فآكل هذا وأشرب هذا؟؟

فقال له حفص وهو يضحك: إنك بطيب الطعام لخبير.

واستأنف عمر حديثه فقال:

- والذى نفسى بيده، لولا أن تنقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم ولو أردت لكنت أعلاكم طعاما، وأرفهكم عيشا، ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها.. وإنى لا أستبقى طيباتى، لأنى سمعت الله تعالى يقول عن أقوام، أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا، هكذا يكون القدوة.

أخرج أحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:

فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع:

١ - بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم فأنزل الله، ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾. (الأنفال:٦٨)

٢ - وبذكر الحجاب، أمر نساء النبى ﷺ أن يحتجبن فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ (الأحزاب: ٥٣).

٣ - وبدعوة النبى عليه الصلاة والسلام: «اللهم أيد الإسلام بعمر».

٤ - وبرأيه فى أبى بكر.. كان أول من بايعه.

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال:

- كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة - فى إمارة عمر - فلما أصيب بثت.

الفاروق . . . الشديد اللين

ورث عمر هاتين الخصلتين عن أسرته .. فكان شديداً ورقيقا فى وقت واحد.. وكان غالبا فى الشدة، غالبا فى الرقة أيضاً... وكان إسلامه مظهرا لهاتين الخصلتين المتناقضتين.

فهو فى منتهى الشدة عندما لقى رجلا من المسلمين وأخذ معه في حديث حول الإسلام يريد أن ينتهى من هذا الحديث إلى الشدة والبطش.. فينبئه هذا الرجل أن

الإسلام قد غزا أسرته واستقر فيها.. وأن أخته قد أسلمت كما أسلم زوجها.. فينقَضّ هو على أخته وقد أزمع البطش بها وزوجها.. ودخل عمر على أخته فسألها فلم تخف عنه شيئا فيبطش بها وبزوجها ويثبتان له ويظهرانه على الصحيفة التى كانا يقرآن فيها.. فلا يكاد يتلو آيات من القرآن حتى تذهب شدته وبأسه ويستحيل إلى لين وعطف ورحمة وإشفاق.. ويسأل عن مكان النبى فإذا دل على هذا المكان ذهب إلى حيث كان النبى وأصحابه يجتمعون فإذا أحس أصحاب النبى مقدمه أنكروه وأشفقوا منه إلا رجلا واحدا هو حمزة بن عبد المطلب.. لم يكن أقل منه شدة وبأسا فقد انتظره ثابتا له، وتلقاه بمثل ما كان قد أقبل به فيما ظن المسلمون من الشدة والبأس... ولكن النبى يلقاه لقاء شديدا رقيقا.. فما هى إلا أن يسلم عمر ويكبر المسلمون ويعلمون أن الله قد أعز دينه بأحب الرجلين إليه عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبى جهل)... كما كان النبى يسأله كل يوم:

- هذه الشدة البالغة والرقة الرائعة تصور أن عمر طول حياته، كان صاحبا للنبى ومشيرا لأبى بكر وإماما للمسلمين.

- تصور أنه حين رأى الجد من الله ورسوله فى هذا الصلح فأذعن له راضيا مؤمنا أصدق الرضى وأخلص الإيمان.

- تصور أنه حين أعلن أن رسول الله قد مات فأنكر ذلك أشد الإنكار وأنذر المعلنين له بالسيف.. فلما سمع قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، أذعن لقضاء الله راضيا به مؤمنا له أصدق الرضا وأخلص الإيمان.

- تصور أنه حين جد فى حزم أمر المسلمين وأخذ البيعة لأبى بكر باسطا يده للبيعة قبل أن تتم الشورى حتى إذا استقرت الأمور واطمأنت القلوب واجتمعت الكلمة عزف من نفسه هذه الشدة وقال فى بيعة أبى بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرها.

- تصور أنه فى كل ما تقرأ من مواقفه حينما كان يجد الجد ويحتاج الأمر إلى الحزم والعزم.... ثم بعد أن تستقر الأمور وتهدأ العاصفة. وقد سجل التاريخ هذه الصور الغريبة الرائعة فيما تحدث به من أن عمر كان أشد الناس غضبا إذا غضب - وكان إذا ثار لم يثبت له شىء - فإذا ذكر الله أو تُلى القرآن رق حتى أصبح الرقة نفسها.

- كان عمر شديدًا حتى خشى الله فى الشدة، وكان لينا حتى خشى الله فى اللين.. وكان يصطنع فى الناس شدته ولينه جميعا، فأما مع نفسه وأهله فلم يصطنع قط إلا الشدة ولم يعرف اللين قط إلى قلبه سبيلا. وكان عمر حريصا على مال المسلمين أشد الحرص، يحاسب العمال والولاة حسابا أيسر ما يقال فيه إنه كان عسيرا.

- لا يختار موالىَ لعمل من الأعمال حتى يحصى ماله قبل الولاية ثم يتتبعه بعد ذلك ليرى كيف زاد ماله وما مصدر هذه الزيادة وما الصلة بينها وبين ما كان له من عطاء.. ثم لايتحرج أن يقاسم الوالى ماله بعد عزله.. فيترك له النصف ويرد النصف إلى المسلمين.. وكان كريما فى مال المسلمين إلى أقصى حدود الكرم، لا تكاد تجتمع إليه الأموال التى كانت تأتيه من الأمصار حتى يضيعها فى المسلمين على طريقة رائعة حقا، لايترك رجلا ولا امرأة، ولا صبيا ولا صبية فى أسرة قريبة منه أو بعيدة عنه إلا قسم له من شذا المال حظه وأدى إليه حقه وأدى إليه الفضل بعد الحق.. ثم كان لا يأمن على ذلك أحدا وإنما يليه بنفسه، ويتتبع أمور الناس لا ليعرفها ولكن ليعرف أيشكو الناس منه شيئا، أينكر الناس منه شيئا، فقد كان لا يأمن نفسه على تحقيق العدل كما كان لا يأمن الناس على تحقيق هذا العدل.

- وكان عمر أجرأ الناس على الناس، حتى خافه الأقوياء واشفقوا من لقائه ووسط إليه كبار الصحابة من يسأله الرقة للناس لأنهم يهابونه ويشفقون أن يعرضوا عليه حاجاتهم.. ثم كان فى الوقت نفسه أشد الناس خوفا من الضعفاء والعاجزين والمحرومين - يستطيع أهون الناس شأنا وأيسرهم أمرا أن يجترىء عليه ويلقاه بما يكره من الحديث.. فيسمع ثم يعتذر ثم يستعبر ثم يستغفر.

- وأروع ما تلقاه فى شخصية عمر من الخصال هذه الفكرة التى كونها لنفسه عن الخلافة منذ ولى الخلافة إلى أن مات.. وقد صوَّرها هو تصويرا رائعا بإيجازه ودقته وصراحته العنيفة حين خطب الناس لأول مرة بعد البيعة فقال:

- **«أيها الناس إنكم قد ابتليتم بى وابتليت بكم»**

يدخل على بنته حفصة أم المؤمنين فتقدم إليه خبزا ومرقا قد جعلت فيه الزيت فينصرف عنه ويقول: أدمان فى إناء واحد لا والله لا أذوقهما.

ويدخل على رجل من المسلمين ليسقيه فيقدم إليه الرجل شرابا، فيسأل ما هو فإذا عرف أنه عسل انصرف عنه وقال: لا والله ليحاسبنى الله عليه.

ويدفع إلى أحد الفرس قميصا له ويتعجله فى ذلك فيقدم إليه الفارسى قميصين قد صنعهما فيسأله أليس فيهما من مال الذمة شىء فيجيب الفارسى:

- لا .. إلا الخيط، فينهره عمر ويقول: اغرب واردد قميصى، ويرد عليه الفارسى قميصه ولم يجف بعد.

نعم .. إن عمر فى هذه المواقف وغيرها يرى الله إذا أصبح ويراه إذا أمسى، ويتمثل نفسه قائما بين يديه يؤدى إليه الحساب عما فعل وعما قال.

... حقا يا عمر ... حقا يا رجلاً بملايين الرجال.

وله فى ذلك أعاجيب كلها رائعة وكثير منها يدفع إلى البكاء دفعا.. فقد جهز عيرا إلى الشام فقد كان يتجر ليعيش، واحتاج إلى ثلاثة آلاف درهم ... فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف ليقرضه هذا المقدار.

فقال عبد الرحمن للرسول: ليقترضها من بيت المال.

فلما لقى عبد الرحمن بعد ذلك سأله: أأنت قلت هذا؟؟

قال: نعم. قال عمر: فإنى إن اقترضت هذه الدراهم من بيت المال ثم أدركنى الموت قال المسلمون ضعوها عن أمير المؤمنين واتركوها لأهل أمير المؤمنين، وسألنى الله

عنها يوم القيامة، ولكنى إن اقترضتها من شحيح مثلك ثم أدركنى الموت لم يضعها عنى ولم يتركها لأهلى حتى تؤدى إليه.

ولما طعن وأفاق من غفوته الأولى كان أول شيء عناه وأهمه أن يعرف أكان طاعنه رجلا من المسلمين.. فلما عرف أن طاعنه كان غلام المغيرة بن شعبة رضى واطمأنت نفسه لأنه علم أن قاتله لا يستطيع أن يحاسبه أمام الله عن سيئة قدمها إليه أو شر أوقعه عليه.

من هنا لم يكن عمر شديدا على الناس بما كان يلقاه من الحزن فحسب، وإنما كان شديدا عليهم بما كان يتشدد به على نفسه.

وكان كثير من المسلمين يرون من أمامهم هذا العيش الخشن الغليظ فيستحون أن يلينوا لأنفسهم من العيش أو يظهروا ذلك، وربما وسطوا إليه ابنته حفصة أم المؤمنين تسأله أن يوفق بنفسه وأن يبيح لها شيئا ولو قليلا من طيبات الحياة، فأجابها:

- لقد نصحت لقومك وغششت أباك.

كذلك كان ضميره مرهف الحس شديد المراقبة يسأله عن كل شيء قبل أن يسأله الناس وقبل أن يسأله الله .. وكذلك أدى الامتحان مدة خلافته .. ولكن الشيء الذى ليس فيه شك هو أن رعيته لم تؤد الامتحان كما أداه، ولم تثبت للجنة كما ثبت .. ومراقبة الضمير لا تتاح للناس جميعا وإنما تتاح لأخيارهم والممتازين منهم وهى على النحو الذى عرفه عمر لا تكاد تتاح إلا للرجل الفذ بين حين وحين، أو قل بين القرون الطويلة والقرون الطويلة.

ولما امتحن المسلمون من أهل جزيرة العرب بالجدب واشتدت عليهم السنة ظهرت مراقبة الضمير في حياة عمر وفى أقواله وأفعاله جميعا فكان يقول للناس:

- إن الله قد ابتلاكم بى وابتلانى بكم فما أدرى أهى خطيئة مني أم خطيئة منكم أم هى خطيئة عمّتنا فعمنا من أجلها العذاب.

وقد صلى بالناس صلاة الاستسقاء فكانت صلاته استغفارا كلها حتى ظن الناس أنه لن يسأل الله شيئا إلا المغفرة ولكنه فى آخر الصلاة سأل الله أن يسقى الناس.

وعمر أول الخلفاء تشددا فى تصرف أحوال الناس لكى يتعرف على ما يمكن أن يكون قد قدم إليهم من شر أو جنى عليهم من مكروه.

كان إذا أقبل الليل صلى فأطال الصلاة ثم خرج مستخفيا يتحسس أخبار الناس ويستمع أحاديثهم .. وقد نفعه ذلك فأصلح من أمور الناس شيئا كثيرًا.

كان قد فرض العطاء للرجال والنساء والفتيان والفتيات والصبيان بعد أن يفطموا... فلما كان فى بعض لياليه سمع صبيا يبكى بكاء شديدا فسأل أمه عن مصدر هذا البكاء فأجابته وهى لا تعرفه جوابا لم يقنعه.

وعاد الصبى إلى البكاء فعاد عمر إلى السؤال... وتكرر ذلك من الصبى ومن عمر حتى ضاقت المرأة بهذا السائل الملح فقالت له:

- لقد أثقلت على منذ الليلة... أما تعلم أن ابن الخطاب لايعطى الصبية إلا بعد الفطام... فأنا أتعجل فطام هذا الصبى لننال عطاءه من بيت المال.

فانصرف عمر عن المرأة محزونا كئيبا وهو يقول:

- ويل لعمر .. ويل لعمر .. كم قتل من أبناء المسلمين .

ثم أمر المنادين فنادوا فى الناس أتموا إرضاع أبنائكم فإن لهم عطاءهم منذ يولدون.



عمر .... ونظام الحكم الديمقراطى

لم يعرف عمر نظام الحكم الديمقراطى كما ألفه اليونان والرومان فى بعض عهودهم... ولكن ضميره الحساس وغريزته المستقيمة وقلبه الذكى وحرصه على العدل وخوفه من الجور.. كل ذلك دعاه إلى شىء ليس بعيدا عن النظام الديمقراطى.

ولعل عمر لو عاش لأحدث للمسلمين نظاما ديمقراطيا عربيا.

كان يستشير من حوله من أصحاب النبى وسادة الناس فى كل ما يعرض له من المشكلات.. ولكنه كان شديد الحرص على أن يحج بالناس فى كل عام ويشهد الموسم الذى يجتمع فيه المسلمون.. ويأمر العمال أن يوافدوه على رأس من يليهم... فإذا كان الموسم وحضرت هذه الوفود سمع من العمال فى الرعية وسمع من الرعية فى العمال وأقر العدل والنصفة بين أولئك وهؤلاء.

فكان موسم الحج عند عمر موسما سياسيا يستعرض فيه أمور الأقاليم بمشهد من الحاكمين والمحكومين.

ومن يدرى.. لو أن الله مد له فى الحياة إلام كان يصير أمر هذا الاجتماع السياسى المنظم؟؟



عمر .. وبغضه للتكلف

خصلة أخرى من خصال عمر ... هى بغضه للتكلف وازدراؤه للمتكلفين... يتأخر شيئا عن الصلاة... فإذا خرج جلس على المنبر ويعتذر إلى الناس قائلا:

- لقد أخرنى قميص.

نعم... غسل له قميصه فانتظر أن يجف... ثم خرج للناس بعد أن تم له ما أراد.

وقرئ أمامه قول الله عز وجل.. ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال قائل:

- وما (الأب)؟

قال عمر : هذا هو التكلف وما يضرك ألا تعرف (الأب)؟

★ ★ ★

عمر .. وحرمات البيوت

إنها خصلة عظيمة من خصال عمر.. لأن عمر قد ختم بها حياته.. وهى الرقة والأدب والحياء والإكبار لحرمات البيوت... كان عمر شديد الحرص على أن يدفن مع صاحبيه إذا مات فلما طعن وأحس الموت دعا ابنه عبد الله وقال له :

- اذهب إلى عائشة أم المؤمنين وقل لها إن عمر بن الخطاب يقرأ عليك السلام.. ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا... ويستأذنك فى أن يدفن مع صاحبيه.

فذهب عبدالله فقال ذلك لعائشة... وعاد إلى أبيه بإذنها فقال لابنه:

- إذا مت احملونى على سرير فإذا وصلتم إلى بيت عائشة فلا تدخلوا حتى تستأذنوا.

وقد حملوا سرير عمر حتى إذا بلغوا بيت عائشة قالوا:

- إن عمر بن الخطاب يستأذن عائشة أم المؤمنين ...

ولم يدخلوا السرير حتى أذنت عائشة ..

وهنالك ..

هنالك دفن عمر بن الخطاب مع صاحبيه محمد رسول الله وأبى بكر أول خلفاء المسلمين.



عمر ... الأديب الناقد !!!!

كان الفاروق أديبا، وكان له ذوق عربى صميم فى نقد الشعر، ونظره البصير فى الحكم على جيده ورديئة.. ولو أن المؤرخين عنوا بهذه الناحية من حياة عمر لوصل إلينا منهم الجمُّ الكثير.

كانت النزعة الأدبية فيه شديدة الإحساس... وهذه النزعة هى التى دفعته إلى الدخول فى الإسلام فهو لم يسلم خوفا من أحد، ولم يسلم رغبة فى جاه أو عتاد، ولكنه أسلم لأنه قرأ القرآن الكريم وتأثر به فملك شعوره وأخذ عليه نواحى نفسه.

وقد امتزج تقدير عمر للشعر وإحساسه بروعته وجماله، بقوة نزعته الدينية وبما رسخ فى نفسه من الإيمان المكين، فكان يميل إلى الصدق فى المديح وإلى الحكمة العالية وإلى الجد فى القول.. وكان يستنكر الهجاء ويحاول تأويله نزوعا إلى درء الحدود بالشبهات.

وكان عمر بن الخطاب شديد الميل إلى شعر زهير بن أبى سلمى، لمزيد عنايته بصقل شعره وتهذيبه ولكثرة ما كان يأتى فى تضاعيف كلامه من الحكم، ولأنه كان لايمدح إلا مستحقا، ولأنه كان شاعر سلم لا شاعر حرب، وقف مواهبه الشعرية على الإصلاح بين القبائل وحقن دمائها.

فقد كان عمر يقول:

- أشعر الشعراء من يقول من ومن ومن (يقصد زهيرا) ويشير إلى ما جاء من صنوف الحكمة فى آخر معلقته.

دخل مرة على عمر بن الخطاب، ابن هرم بن سنان فقال له:

من أنت ؟؟ . قال: أنا ابن هرم بن سنان، قال: صاحب زهير؟؟

قال: نعم .. قال: أما إنه كان يقول فيكم فيحسن.

قال: كذلك كنا نعطيه فيجزل.

قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم.

عمر ... ناقدا للشعر

قال ابن عباس: قال لى عمر بن الخطاب : أنشدنى من قول زهير ... فأنشدته قوله فى هرم بن سنان ابن حارثة حيث يقول:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم	طابوا وطاب من الأفلاذ من ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا	مرزؤون بهاليل إذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم	لاينزع الله منهم ماله حسدوا

عندما استمع عمر إلى هذه الأبيات قال: ماكان أحب إلى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله ﷺ !

يقول الأستاذ على الجارم بك:

- فعمر هنا بعربيته الذواقة يدرك جلال الشعر وجماله وقوته، وبإسلامه الراسخ لايريد إلا أن يكون الشعر صورة للحق الأبلج لا ختل فيه ولاخداع... فهو لذلك يود لو كانت أبيات زهير مديحا فى بيت النبوة ليتم له المثل الأعلى الذى يريده للشعر وهو أن يصل إلى قمة البلاغة مع الصدق الذى لايعبث به رياء.

وقال عمر مرة - فيما روى الرواة - لابن عباس: أنشدنى لأشعر الناس الذى لا يعاضل بين القوافى ولا يتبع حوشىّ الكلام.

قال: من ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: زهير بن أبى سلمى.

فلم يزل ينشده حتى أصبح:

فإن الحق مقطعه ثلاث	يمين أو نفاذ أو جلاء

كان لزهير بن أبى سلمى المنزلة الأولى عند عمر بن الخطاب ويلى زهيرا، فى المنزلة عنده نابغة بنى ذبيان للسبب الذى ذكرناه آنفا .... وهو جزالة شعر النابغة، وميله إلى الحكمة وضرب المثل.... ولأنه فى كثير من اعتذاراته للنعمان كان يصور الحقائق كما هى غير موارية أو مخاتلة.

دخل على الفاروق مرة وفد من غطفان فقال لهم من الذى يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا: نابغة بنى ذبيان: قال لهم: من الذى يقول:

أتيتك عاريا خلقا ثيابى ... على وجل تظن بى الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة.. قال: هو أشعر شعرائكم.. والبيت الثانى من بيتى النابغة يشبه لغة الإسلام ولعل ذلك كان سببا فى إعجاب عمر بهذا الشعر.. فقد رسخ الدين الكريم فى نفسه رسوخا حبب إليه كل شىء من الشعر فيه أخلاق الإسلام وآدابه.

وكثيرا ما كانت القبائل أو عظماء العرب تفزع إلى عمر رضى الله عنه يستعدونه على الشعراء الذين هجوهم... فكان عمر رفقا بالشعراء وإبعادا للشر عنهم يتكلف التأويل لهذه الأهاجى، ويبالغ فى تهوين أمرها، وهو أعلم بما انطوت عليه من سم زعاف.

ولما هجا النجاشى رهط تميم بن مقبل استعدوا عليه عمر وقالوا يا أمير إنه هجانا...

قال: وما قال فيكم؟

قالوا .. قال:

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة ... فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر: هذا رجل دعا... فإن كان مظلوما استجيب له - وإن لم يكن مظلوما لم يستجب له.

قالوا: فإن قال أيضا:

قـبـيـلـتـه لا يـخـفـرون بـذمـة ... ولا يـظـلـمـون الـنـاس حـبـة خـردل

ولا يـــردون الماء إلا عشـــيـــة ... إذا صـدر الـوراد عـن كـل مـنـهـل

قال عمر: ليت آل الخطاب مثل هؤلاء .. فإن ذلك أجمّ وأمكن. قالوا: فإنه يقول:

ومـا سـمـى الـعـجـلان إلا لـقـولـه ... خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر: سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا.

والخلاف فيما يعتقد بين رهط تميم وعمر أنهم يفهمون الشعر بروح الجاهلية، وعمر رضى الله عنه يفهمه بروح الإسلام.

كان عمر مع هذا يبغض صريح الهجاء ويستنكره، وقد حبس فيه الحطيئة لما لم يجد مناصا من عقوبته... ولكنه كان يتأثر بالشعر إذا استعطف به. وقد كان الحطيئة حين استعطف ليطلق سراحه أعلم الناس بأخلاق الفاروق. فجاءه أولا من ناحية بنيه الصغار وما يلاقون من جوع وشظف بعد حبس أبيهم، ثم لما هم يمدحه لم يجاوز الحد ولم يقل إلا حقا.

إنه يقول:

مـاذا تـقـول لأفـراخ بـذى مـرخ ... زغب الحواصـل لا مـاء ولا شـجـر

ألـقـيت كـاسـبـهـم فى قعر مظلمة ... فـاغـفـر عـلـيك سـلام الـلـه يا عـمـر

أنت الإمام الـذى من بعـد صاحـبه ... ألـقت إلـيك مـقـالـيـد الـنـهى الـبشر

مـا آثـروك بـهـا إذ قـدمـوك لـهـا ... لـكـن لأنـفـسـهـم قـد كـانت الأثـر

لذلك أمر عمر بإطلاقه وأخذ عليه ألا يهجو مسلمًا.

وكان عمر رضى الله عنه شاعرا مقلا.

قال سعيد بن المسيب، كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر الثلاثة.

وقد كان شعره صورة من نفسه المؤمنة، حتى إنه حينما أراد أن يرتجز لحداء ناقته كان يقول:

إليك يغدو قلقا وضينها ... مخالفا دين النصارى دينها

(أى: دين صاحبها).

ومن قوله يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... على كل دين قبل ذلك حائد

غداة أجال الخيل فى عوصاتها ... مسومة بين الزبير وخالد

فأما رسول الله قد عز نصره ... وأما عداه من قتيل وغارد

★ ★ ★

عمر .... الفاتح العظيم !!!

لم يكن عمر قبل الخلافة بالجندى البارز فى ميادين الحرب.. لقد كانت سنه فى الجاهلية أصغر من أن تأذن له بغشيان الحرب.

أما زمن النبوة والخلافة الأولى فكان سداد رأيه وشجاعته الأدبية آثر عند رسول الله ﷺ وعند أبى بكر من شجاعته الحربية.. فكان عندها أظهر فى مقام الرأى والمشورة منه فى مشاهد الجلاد والطعان.

على أن عمر كان من غير شك ذا كفاية حربية ممتازة اكتسبها من حضوره المشاهد مع رسول الله ومن تدبيره قتال الردة مع أبى بكر.

وقد أدرك أبو بكر تلك الكفاية وود لو أنه انتفع بها انتفاعا مباشرا. فيروى أنه قال وهو على فراش الموت:

- (وددت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكنت قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله).

فقد عده أبو بكر (سيف الله) ودرعه... وكفى بذلك دليلا على رسوخ قدمه فى فن الحرب وكفايته فى شئون القتال، فلما ولى عمر الخلافة ظهرت تلك الكفاية أيما ظهور وأثمرت أيما ثمر.

كانت كفاية عمر من ذلك الطراز العالى الذى يقوم على قوة التصور، وسلامه الإدراك، والإحاطة بطبائع البشر أفرادًا كانوا أو جماعات وعلى معرفة الفرص عند سنوحها والعلم بطرق افتراضها، ومواجهة الأزمات ووضع الحلول لها، هذا إلى نشاط جمّ، وعزيمة صارمة، وذهن نفاذ وهى صفات لم تجتمع بعد رسول الله لواحد من المسلمين غير عمر بن الخطاب.

وكان لعمر مظهر ومخبر، وما بعد ما كان بين مظهره ومخبره، فهو بادىء الرأى رجل من أهل المدينة، ساذج العيش، يأكل أخشن الطعام، ويلبس أخشن الثياب، وينام حيث يدركه النوم، سلاحه درته، مطيته قدمه، يروح ويغدو كأحد الناس، لا يفضلهم إلا بأنه أول خدامهم وأشبه سادتهم بعبدانهم.

بيد أنه إذا تأمله المتأمل وقد نصب نفسه لحرب الفرس والروم لرأى دون المظهر أحوذيا مشمرا، قد استحضر فى ذهنه ميادين القتال فى الشرق والغرب، فهو ينتخب الرجال ويعبىء الجنود، ويرسم المواقع، ويخطط الخطط، ويبعث رجلا بعينه إلى العراق وآخر إلى الشام وثالثًا إلى مصر ويأمر بالإقدام تارة وبالإحجام أخرى، وينقل الإمداد من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق، لا يكاد يستأخر حسابه فى ذلك أو يستقدم يوما واحدا. فإذا ما أحكم الخطة وأعد العدة قال لأصحابه فى هدوء الواثق بنجاح مسعاه: «قد رمينا ملوك العجم بملوك العرب فانظروا عم تنجلى»... فإذا ما أفلح سعيه، وأثمر غرسه وجاءه نبأ الفتح والظفر تلقاه فى خشوع وإخبات وتواضع يزيده روعة وعظمة وجلالا.

ولكى نقيم البينة على تلك الدعاوى فى جميع ميادين القتال الذى نشب فى أيام عمر بين العرب وبين الفرس والروم (١٤ هـ) فترجع إلى الطبرى فى جزئه الرابع ليحدثنا عن واقعة القادسية.. التى تعد أعظم وقائع العرب مع الفرس... يقول الطبرى:

- لما اشتد الأمر على العرب بالعراق بعد وقعة الجسر (١٣ هـ) التى أودت بقائدين عربيين هما أبو عبيدة ثم المثنى بن حارثة، وصمم الفرس على طرد العرب من بلادهم.. قام عمر للأمر وقعد واهتم له غاية الاهتمام فكتب إلى عماله على قبائل العرب يقول:

(... ولا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلىّ، والعجل العجل!).

فلما توافت إليه النجدات حار فيمن يؤمره عليها، وهمّ أول الأمر أن يسير فيها بنفسه إلى العراق ولكن ذوى مشورته أثنوه عن ذلك ثم وفق إلى رجل لحظ فيه أصالة الرأى وتمام الشجاعة ويمن النقيبة فأمره عليها ... يقول الطبرى فى جـ ٤ :

- كان سعد على صدقات هوازن فبعث إلى عمر بألف فارس وكتب إليه كتابا بذلك.. فوافى كتابه مشورتهم، فقالوا: قد وجدته: قال: من؟ قالوا: الأسد عاديا! قال: من: قالوا: سعد . فانتهى إلى قولهم.. فأرسل إليه فأمره على حرب العراق، وعقد له على أربعة آلاف معهم ذراريهم ونساؤهم، وأتاهم عمر فى عسكرهم فأرادهم جميعا إلى العراق، فأبوا إلا الشام، وأبى إلا العراق، فسمح لنصفهم فأمضاهم نحو العراق، وأمضى النصف الآخر نحو الشام. فلما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس.. فكتب إليه عمر:

- إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس، وعرف عليهم، وأمر على أجنادهم وعيهم وواعدهم القادسية.. وأضم إليك المغيرة بن شعبة فى خيله، واكتب إلىّ بالذى يستقر عليه رأيهم.

ثم يكتب عمر إلى سعد بالمنازل التى ينزلها وبخطة الحرب وبميعاد تحركه وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر، يقول له عمر:

- أما بعد، فمر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين.. فإذا انتهيت إلى القادسية - وهو منزل رغيد خصيب حصين دونه قناطر وأنهار - فتكون صالحك على أنقابها، ويكون الناس يبن الحجر والمدر، على حافات الحجر وحافات المدر - والجراع بينهما.. ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فإنهم إذا أحسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى، كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم... ثم كنتم عليهم أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح.. فإذا كان كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب الفوارس وشرق بالناس وغرب بهم.

وتتبادل الرسائل الحربية بين سعد وعمر.. رسائل إن دلت على شىء فهى تدل على عظمة عمر الحربية.. وفطنته ومهارته فى هذا العالم العظيم.. عالم النصر والفتح.

★ ★ ★

هل صحيح أن بلاغة الفاروق هى من وحى الفطرة؟

إن كانت فصاحة القرآن الكريم هى المعجزة التى كانت السبب الأصيل فى انقياد عمر إلى الإسلام، وانتقاله من دين إلى دين بسبب الفصاحة فذلك أصدق شاهد على أنه خلق مفطورا على تذوق الفصاحة وأسرار البيان.

وبلاغة القرآن التى فتنت عمر لم تصادفه وهو بكر القلب ..

فقد يظهر أنه كان فى جاهليته رجلا بصيرا بما خلف قومه من كرائم المعانى وقد يظهر أنه كان مفتونا بالشعر وخبيرا بأغراض الشعراء.. وإلا فكيف اتفق له أن يتعصب لزهير... وكيف صح لابن رشيق أن يحكم بأنه كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة.

وكيف كان من سياسته وهو خليفة أن يوصى المسلمين بأن يرووا أبناءهم الأشعار كما يعلموهم السباحة والرماية؟

إن بلاغة الفاروق كانت تعتمد على أصل ثابت هو فهم الأدب، أو هو بالفعل أديب... فلو فاتته ظروف الخلافة التى فرضت أن يجيد الخطابة والإنشاء لكان من أقطاب الأدب... فقد كان هذا الرجل يملك أهم عنصر من عناصر النقد وهو السخرية... والسخرية فن لايحسنه غير الفحول.

ولكى نثبت ذلك تعالوا نعد بالذاكرة إلى قصة بنى العجلان.

إنهم قوم كانوا يتفاخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الأضياف، وظلوا كذلك حتى هجاهم به النجاشى الشاعر، فضجروا منه وسبوا به، واستعدوا عمر بن الخطاب على الشاعر فقالوا:

- هجانا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: وما قال؟

فأنشدوه:

إذا الـلـه عـادى أهـل لـؤم ودقـة　　　فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر: إنه دعا عليكم ولعله لايجاب!

فقالوا: إنه قال:

قـبـيـلـتـه لا يـخـفـرون بـذمـة　　　ولايـظـلـمـون الـنـاس حـبـة خـردل

فقال عمر: ليت آل الخطاب كذلك.

فقالوا: إنه قال:

ولايـــردون الماء إلا عشـــيـــة　　　إذا صـدر الـوراد عـن كـل مـنـهـل

فقال عمر: ذلك أقل للسكاك .. يعنى الزحام

قالوا: فإنه قال:

تـعـاف الـكـلاب الضـاريات لحومـهـم　　　وتـأكـل مـن كـعـب بـن عـوف ونهشـل

فقال عمر:

- كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه.

قالوا: فإنه قال:

ومـا سُـمّـى الـعـجـلان إلا لـقـولـهـم　　　خذ العقب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد، وخير القوم خادمهم.

فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا !!

فقال: ما أسمع ذلك.

فقالوا: فأسأل حسان بن ثابت.

فسأله فقال: ما هجاهم ولكنه سلح عليهم.

أرأيتم كيف جرى هذا الحديث؟؟

أرأيتم كيف يتغابى عمر بن الخطاب وكيف يتعامى عن أغراض الشعراء؟

إن السخرية فى هذا الحديث بلغت الغاية فى الدقة، واستطاع عمر أن يستجهل بنى العجلان، وبلغ من أمره أن أوهمهم أنه لايفهم .. وتلك أعجوبة الأعاجيب أن يقتنع قوم من العرب بأن عمر لايفهم دقائق الهجاء.

والظريف فى هذه القصة أن يقول أولئك القوم لعمر: فاسأل حسان بن ثابت والأظرف (كما يقول الدكتور زكى مبارك فى دراسة له عن بلاغة عمر سنة ١٩٣٦) أن يتمادى عمر فى التغابى فيسأل حسان.

★ ★ ★

أدب القضاء... فى بلاغة عمر بن الخطاب!!

أهم ميزة فى بلاغة الفاروق هى أدب القضاء.

وقد شاء الله أن يلقب بالفاروق لمعنى من معانى العدل فى القضاء.. فهذا الرجل لم تستقم له الأمور مصادفة واتفاقا، وإنما قام ملكه على العدل، واستطاع أن يملأ الدنيا بالحقائق والأساطير بفضل العدل.

وقد شاع فى المغربين والمشرقين أن أحد الوافدين عليه رآه نائما على قارعة الطريق فقال: عدلت فأمنت فنمت.

ومن المرجح أن هذه العبارة نقلت إلى أكثر من خمسين لغة، ورددتها ملايين الألسنة فى مختلف الأجيال.

ولاينتظر القارئ من الفاروق كتبا فى القضاء تشبه مؤلفات رجال القانون... فلم يكن العصر عصر درس واستقصاء، على نحو ما عرف المسلمون فى أيام الدولة العباسية.. ولكن الرسائل القليلة الباقية من أدب ابن الخطاب تشهد بأنه كان من أعرف الرجال بأدب القضاء.

هل تعرفون كتابه إلى معاوية بن أبى سفيان؟

إنه يقول بعد التمهيد:

- الزم خمس خصال يسلم لك دينك وتأخذ فيه بأفضل خصلة: إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة، وأدنِ الضعيف حتى يشتد قلبه، وينبسط لسانه، وتعهد الغريب فإنك إن لم تتعهده، ترك حقه ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به. وآسِ بين الناس فى لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء.

هل لاحظتم الحكمة البالغة فى هذا الخطاب؟؟

فى هذا الخطاب ليست الحكمة فى البينة ولا فى اليمين، وإنما هى فى الكلام عن الضعيف والغريب.

نعم .. إن ما يقصده، عمر هو الإنسان الضعيف والغريب.

فقد كان عمر يعرف أن أناسا تضيع حقوقهم بسبب الغربة والضعف وكان يدرك أن القضاة ينخدعون بزخرف القول، وأن الضعيف قد يتلجلج لسانه فيضيع حقه، وأن الغريب قد يتهيب الموقف فلا يستطيع توضيح ما يريد.

انظروا هذه الجملة العالمية التى ذكرها فى خطابه لمعاوية:

«آس بين الناس فى لحظك وطرفك»

إنها تشهد بما كان يعرف عمر من أسرار النفوس.

وقد أكد عمر هذا المعنى فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى إذ قال:

«آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لايطمع شنريف فى حيفك، ولاييأس ضعيف من عدلك.

وكذلك كان الأقوياء فى جميع العصور مثارا للخوف من ازدلاف القضاء... وكان الضعفاء مثارا للخوف من انحراف القضاء.

وقد دعا الفاروق إلى الصلح فى الظروف التى لايبين فيها وجه الفصل، ثم أوضح ذلك فى رسالته إلى أبى موسى فقال:

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا .... وهو بذلك يجعل الصلح مشروطا بالإنصاف.

★ ★ ★

عمر .. هو الذى وضع أساس «الاستئناف» فى القضاء

لقد وضع الفاروق أساس «الاستئناف».. ولكنه أسرع فجعل ذلك من واجب القاضى قبل أن يجعله من حق المتقاضين أليس هو الذى يقول:

- «ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل».

إنه بهذا يذكر القضاة بأنهم ناس يخطئون ويصيبون، وتعمى عليهم مسالك الحق فى بعض الأحيان.

وقد خشى ابن الخطاب أن يكون فى القضاة من يضجر ويتأذى فقال:

«وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم به الله الأجر، ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله.

ونعيد قراءة الفقرة الأخيرة من القول السابق.. هذه الفقرة الأخيرة تذكرنا بعنصر مهم من عناصر البلاغة الفاروقية ... وهو الدعوة إلى أدب النفس ... وأكثر ما يكون ذلك فى وصايا الحرب.. فقد كان هذا الرجل يقيم وزنا كبيرا للقوة المعنوية، وكان يفهم أن الجندى لايشجع إلا حين يثق بأنه أفضل من خصمه من الوجوه الخلقية.

وانظروا كيف يقول فى خطابه إلى سعد بن أبى وقاص:

إنه يقول:

أما بعد،

فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله

أفضل العدة على العدو.. وأقوى المكيدة فى الحرب... وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله.. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، استحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم - كما سلط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.

فهذه الرسالة كما يقول الدكتور زكى مبارك تبين كيف كان عمر يحرص على أدب النفس... وترينا كيف كان يدرك أن القوة تكون أولا فى النفس، النفس البريئة من الظلم والجور والعسف.

وهل رأيتم أقوى من هذه الكلمة:

(إن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم)

وعمر لايرى الإيمان كل شىء... وعنده أن المؤمن المذنب أهل لأن يكون فريسة للكافرين، وهو يحدثنا أن المجوس وهم كفار انتصروا على بنى إسرائيل وهم مؤمنون.

وبقليل من التأمل ندرك أن عمر يرى أن العمل أصل النجاة، وأن العقيدة المجردة، لاتنفع، وإنما النفع فى العمل الصالح، فهو الذى يرفع ويخفض، وبالعمل وحده يكون بعض الناس أفضل من بعض وأقدر على الظفر بالمنافع والخيرات.

والبلاغة فى هذه الوسائل ليست بلاغة سطحية تعتمد على الزخرف والبريق، وإنما هى بلاغة تقوم على أصول من الشرف ومن العدل، فإن سمعتم أنه بلغ بها من أنفس جنوده، ما أراد فتذكروا أن جنوده كانوا يعلمون أنها تصدر عن قلب عامر بأشرف ما تعمر به القلوب.

سمع الفاروق أن «خارجة بن حذافة»، بنى غرفة بمصر - والغرفة لا تكون فى الدور الأول ... فكتب عمر إلى عمرو بن العاص:

- سلام عليك .. أما بعد:

فإنه بلغنى أن «خارجة بن حذافة» بنى غرفة أراد بها أن يطلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدمها، إن شاء الله، والسلام.

والمدنية الحديثة تنكر ما أشار به ابن الخطاب.

ولكن مهلاً .. فكم كانت نوافذ الغرفات بابا من الشر ومثارًا للفتون .

وليس يضير عمر أن لا تنسجم آراؤه مع المدنية الحديثة، وإنما يشرفه أن يحفظ التاريخ أنه كان يتطلع إلى كل شىء من أخبار رعاياه فيعرف وهو بأرض الحجاز أخبار المنازل فى وادى النيل.

إن أسلوب عمر بن الخطاب كان خاليا من الزخارف التى أولع بها المحدثون.

فبلاغة الفاروق هى من وحى الفطرة.

هى صورة من صراحته الناصعة فى الحكم على الناس وعلى الأشياء وما كان هذا الرجل معروفا بإكثار ولاإقلال .. وإنما كان كلامه يصاغ وفقا للظروف .. فلم يؤخذ عليه تفريط ولا إفراط.

★ ★ ★

ما بين خالد - وعمر:

ما الذى حفز الفاروق العادل الأكبر إلى عزل خالد بن الوليد الفاتح الأكبر؟

إذا قرأت فى التاريخ أن اثنين تحاربا، ثم قتل أحدهما الآخر، فقلما تستطيع أن تقف بين كليهما محايدا، ولا مفر لك من أن تجد نفسك راضيا عن أحدهما، ناقمًا من صاحبه.

ويصدر الحاكم أمرا بعزل رجل ما، فإما كنت أمام هذا العزل مبتهجًا به وإما كنت مكتئبا له.

ويدور الحديث بين اثنين فى شأن، ويختلفان فى الرأى فلا تتمالك أن تخلد إلى أحدهما بالثقة وتوليه الرضا.

أما فى الحادث التاريخى الجلل - حادث عزل خالد بن الوليد - فإنك لتجد نفسك راضية عن كل بطل من أبطال هذه المأساة جميعا، ترضى عن عمر الفاروق رمز العدل وترضى عن خالد بن الوليد سيف الله المسلول ذلك الرجل الذى عقد الله الخير بناصيته أينما رحل.. وكتب له النصر والغلبة حيثما حارب.

ولقد كان عزل عمر بن الخطاب خالدا فى أحرج الأوقات، فالمسلمون صفوف تحت لوائه... وخالد يتأهب بهم ليجوز الرقعة الفاصلة، وذلك يتطلب منه أن يحشد له من يقظته وانتباهه واجتماع رأيه وطمأنينة نفسه ما يكفل له الفوز، وإنه لكذلك إذ قدم البريد بموت أبى بكر وتولية عمر وعزل خالد، وتأمير أبى عبيدة مكانه.

ثم يقف الفكر حائرا متسائلا: ترى ما الذى أثار عمر بن الخطاب وهو من هو حزما وعدالة، وبعدا عن الهوى، وإيثارا للمصلحة العامة، وتحكيما للعقل على العاطفة - حتى أقدم على عزل القائد الفاتح، الذى مكن للإسلام بانتصاره فى حروب الردة، وأفسح فى رقعته بما تهيأ له من فتوحات يتبع بعضها بعضا؟

ترى ما الذى حفز الفاروق العادل الأكبر إلى عزل خالد بن الوليد... الفاتح الأكبر؟؟

ليس لهذه الأسئلة وما شابهها من جواب، إلا ما تراه فى حادث مالك بن نويرة:

يقول الحادث:

بعد وفاة رسول الله ﷺ، أرتد كثير من العرب، فقطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية فكانت أحد عشر لواء عشر لواء، فعقد لخالد بن الوليد على أن يحارب طليحة بن خويلد، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة، وكان عاملا لرسول الله ﷺ على صدقات بنى يربوع، فلما مات النبى اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرق ما فى يديه من إبل الصدقة، فكلمه فى ذلك صديقان له وقالا: إن لهذا الأمر مُطالبا فلا تعجل بتفرقة ما فى يديك، فقال قصيدته التى منها:

وقلت: خذوا أموالكم غير خائف	ولا ناظر فيما يجيء من الغد
فإن قام بالأمر المخوف قائم	منعنا، وقلنا: الدين دين محمد !!

فلما سار خالد استبرأ أسدا وغطفان وطيئا وهوازن، ثم خرج يريد البطاح دون الحزن وعليه مالك بن نويرة. وقد ترددت الأنصار على خالد، وتخلفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا، فقد عهد إلينا إن نحن استبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب بمسيرنا.

فقال لهم خالد:

- إن يكن قد عهد إليكم هذا، فقد عهد إلى أن أمضى، وأنا الأمير وإلىّ تنتهى الأخبار، ولو أنه لم يأتنى منه كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة، فكنت إن أعلمته بها فاتتنى، لم أعلمه بها، حتى أنتهزها.

وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه، لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا، ثم نعمل به.

وهذا مالك بن نويرة بحيالنا، وأنا قاصد إليه ومن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان، ولست أكرهكم ... ومضى خالد، وندمت الأنصار، وتذمروا وقالوا: إن أصاب القوم خير فإنه لخير حرمتموه، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس.

فأجمعوا على اللحاق بخالد.. وجردوا إليه رسولا، فأقام عليهم حتى لحقوا به، ثم سار خالد، حتى قدم البطاح، فلم يجد به أحدا ووجد مالكا قد فرقهم فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع.

وخرج مالك راجعا إلى منزله، ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، فمن أجاب سالموه، ومن لم يجب وامتنع، قتلوه. وكان فيما أوصاهم أبو بكر:

- «إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا، فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا، فلا شيء إلا الغارة، فاقتلوا وحرقوا، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسالموهم، فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم، وإلا فلا شيء إلا الغارة، ولا كلمة...».

★ ★ ★

كيف قتل مالك بن نويرة؟؟

هنا روايتان.

تقول الأولى: ان خالدا لما بعث السرايا، جاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ومن بنى عاصم وعبيد وجعفر، واختلفت السرية فيهم، فكان أبو قتادة فيمن شهد بأنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلوا، فلما اختلف فيهم، أمر خالد بحبسهم فى ليلة باردة، لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد بردا، فأمر خالد مناديا... فنادى: دافئوا أسراكم. وكان فى لغة كنانة إذا قالوا: دافأنا الرجل، وأدفئوه، فذلك معنى: اقتلوه... وفى لغة غيرهم: دفئوهم، من الدفء، فظن القوم أنه يريد القتل، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وقتل الجند من بقى من أصحابه.

ولقد أشار المعرى إلى هذا الخلاف إذ قال:

أدفئوا بالطعان بين التراقى والحوايا أسنة مقرورة

فسمع خالد القائل: أدفئوا أسراكم، وخشى أن يحدث ما كان قد حدث، فخرج، ولكن كانوا قد فرغوا من قتلهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه... فقال له أبو قتادة: هذا

عملك فزجره خالد، ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر، حتى كلمة عمر فيه، فلم يرض إلا بأن يرجع إلى خالد، فرجع ولم يزل معه.

تلك إحدى الروايتين فى مقتل مالك، فأما الأخرى فيقصها علينا أبو قتادة نفسه، فيقول:

إنهم لما غشوا القوم، راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح فقلنا: إنا المسلمون!! فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: إن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها، ثم صلينا وصلوا. وكانت بعد مناقشة بين مالك بن نويرة وخالد بن الوليد.

قال مالك لخالد وهو يراجعه: إنى آتى الصلاة دون الزكاة.

فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة مما لا تقبل واحدة دون الأخرى؟

فقال مالك: قد كان صاحبك يقول ذلك؟

قال خالد: أوما تراه لك صاحبًا؟ وقد هممت أن أضرب عنقك؟

ثم تجادلا بالكلام طويلا.

فقال خالد: إنى قاتلك!

قال مالك: أوبهذا أمرك صاحبك؟؟

قال: وهذه بعد تلك؟

ثم قدمه وضرب عنقه، وأعناق أصحابه.

وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة، وتركها لينقضى طهرها، وكانت العرب تكره النساء فى الحرب، وتعيره... فقال عمر لأبى بكر:

- إن فى سيف خالد رهقا وحق عليه أن يقيده، وأكثر عليه فى ذلك، وقال: عدو الله، عدا على امرىء مسلم، فقتله، ثم نزا على امرأته.

وكان أبو بكر لايقيد من عماله ولاوزعته، فقال:

- هيه يا عمر، تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد وورى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه.

وأقبل خالد بن الوليد قافلا، حتى دخل المسجد، وعليه قباء له، عليه صدأ الحديد، متعجرا بعمامة له قد غرز فيها أسهما، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر، فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال:

- أرثاء!؟ قتلت مسلما ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجار.

ولا يكلمه خالد بن الوليد، ولا يظن خالد إلا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه، حتى دخل على أبى بكر، فأخبره الخبر، واعتذر له عما كان فى حربه تلك، فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر، وعمر جالس فى المسجد، فقال: هلم إلى يا ابن أم مسلمة! فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عن خالد، فلم يكلمه، ودخل بيته.

ويأتى أخو مالك، متمم بن نويرة، ينشد أبا بكر دمه، ويطلب إليه فى سبيهم، فكتب له برد السبى، وقد بكى أخاه بكاء لم يُبك به فقيد قبله، ولم يدخر وسعا فى الإشادة بذكر أخيه وإشاعة مناقبه، والتغنى بفروسيته وأريحيته، والتذكر بمصرعه، متخذا فى ذلك كل الوسائل.

فبينما عمر يصلى الصبح، فلما انفتل من صلاته، إذ هو برجل قصير أعور، متنكبا قوسه، وبيده هراوة، فقال:

- من هذا؟

فقال: متمم بن نويرة، فاستنشده قوله فى أخيه، فأنشده:

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك	ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ثيابه	فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ قوله:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر: هذا والله التأبين!! ولوددت أنى أنشد الشعر، فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك! («زيد بن الخطاب» أسلم قبل عمر واستشهد قبله).

فقال متم: لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك مارثيته (وكان أخو عمر قتل باليمامة شهيدا، وأمير الجيش خالد بن الوليد أيضاً....).

وبينما متم يصلى الصبح مع أبى بكر، إذ ينشد:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... تحت الإزار قتلت يابن الأزور

أدعوته بالله، ثم قتلته؟ ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر: والله ما دعوته... ولاقتلته.

فأنشد:

لايضمر الفحشاء تحت ردائه ... حلو شمائله عفيف المئزر

ولنعم حشو الدرع أنت وحاسر ... ولنعم مأوى الطارق المتنور

... ثم بكى . . حتى سالت عينه . . ثم انخرط مغشيا عليه.

وقد ذاعت قصائد متم فى أخيه مالك، وصارت مضرب الأمثال فى الرثاء.. كما صارت مراثى الخنساء.. فلا يرى أحد من المسلمين متما إلا سأله أن ينشده بكاءه على أخيه.

وكما تركت هذه القصائد أثرا كبيرًا فى نفوس كل من استمع إليها، تركت أيضا أثرا أكبر فى نفس عمر بن الخطاب.. ولاسيما أنه يشارك متما شعوره بموت أخيه زيد، فكان يعطف عليه، ويدنيه منه، وينصح له.

لم يزل عمر ساخطا على خالد، كارها لأمره، فى زمان أبى بكر كله، لوقعته بمالك، وما كان يعمل به فى حربه. وخالد يعرف ذلك عن عمر حتى إن خالدا لما فرغ من حرب مسيلمة قال لمجاعة:

- زوجنى ابنتك ..

فزوجة إياها... فبلغ ذلك أبا بكر، فكتب إليه يقول له:

- (يقطر الدم لعمرى يا ابن خالد، إنك لفارغ، تنكح النساء، وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد؟).

فلما نظر خالد إلى الكتاب، جعل يقول: هذا عمل الأعيسر (يعنى عمر).

ولما نزل المسلمون باليرموك، واستمدوا أبا بكر، قال: خالد لها.

فبعث إليه وهو بالعراق، واستحثه فى المسير فوصل إليهم ذلك القائد المنتصر الذى جمع الله له الخير فى فتوحه، مجتازا طرقا معجزة، وسبلا وعرة، لا طاقة لأحد باجتيازها.

ووصل إلى المسلمين، وهم فى أحرج مواقفهم، فقد كان أمام كل جندى منهم ألف وخمسمائة جندى كاملة العدد، فما عبأ بذلك ولا أوهن من عضده، وقد استكثر أحد الناس جنود الروم، وهاله جمعهم على قلة المسلمين، فأجاب خالد بقوله الباقى على الزمن:

- إنما تكثر الجيوش بالنصر، وتقل بالخذلان!!

ثم نشب القتال - والتحم الفريقان، وتطارد الفرسان وإنهم لكذلك إذ قدم البريد من المدينة، وأسر إلى خالد بموت أبى بكر وأمر عمر الخليفة بتأمير أبى عبيدة، فقال خالد:

- الحمد لله الذى قضى على أبى بكر الموت وكان أحب إلى من عمر، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر، ثم ألزمنى حبه.

وأخذ الكتاب، وجعله فى كنانته، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند، ثم خاض بالجيش المعركة حتى انتصر نصرا مؤزرًا على عادته.

ولما اطمأن إلى النتيجة الباهرة.. وتم الفتح.. تنحى لصاحبه أبى عبيدة عن إمارة الجيش، وانضوى تحت لوائه فى عداد الجنود.

وبعد ،

أما تجد نفسك الآن أيها القارىء العزيز راضيًا كل الرضا عن الفاروق رمز العدل.. وراضيًا كل الرضا عن خالد سيف الله المسلول!!

إنه عندما تقرأ فى التاريخ أن اثنين تحاربا.. ثم قتل أحدهما الآخر فقلما تستطيع أن تقف بين كليهما محايدا.. ولامفر من أن نجد أنفسنا مع الأول دون الثانى أو مع الثانى دون الأول.. ولكن فى حادث عزل خالد ابن الوليد نجد نفوسنا راضية كل الرضا عن كل بطل من أبطال هذه المأساة جميعا.

وصدق الشاعر الفارسى مالك بن نويرة عندما قال :

ليت التخاصم إذ يكون	يكون بين الظالمين!
لا أن يدب دبيبه	بين الخيار الماجدين
فيصير مدعاة الأسى	ومثار أسباب الشجون

★ ★ ★

أول كتاب كتبه عمر ... بعد عزل خالد

روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال :

أول كتاب كتبه عمر إلى أبى عبيدة حين ولاه وعزل خالدا أنه قال :

وأوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور ... وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذى يحق عليك، لاتقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ... ولا تنزلهم منزلا قبل أن تتريده (أى تذهب إليه وتعرفه) لهم.. وتعلم كل شىء عنه، ولاتبعث سرية إلا

فى كنف من الناس (كنف: أى حفظ وحرز.. وفى الطبرى.. فى كشف - أى: جماعة).. ثم يقول عمر لأبى عبيدة:

- إياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة.. وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك، فغض بصرك عن الدنيا، وأله قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت ما حدث لهم.

ولماذا عزل عمر خالدا ؟؟

ذكر سلمة عن محمد بن إسحاق : أن عمر إنما عزل خالدًا لكلام بلغه عنه.. ولما كان من أمر مالك بن نويرة، وما كان يعتمده فى حربه، فلما ولى عمر كان أول ما تكلم به، أن عزل خالدا.. وقال:

- لا يلى لى عملا أبدا .

وقد روى أن سيدنا عمر قال:

- إنى لم أعزل خالدا عن سخط ولاخيانة، ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا إليه .. فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة.

وقد كتب عمر إلى أبى عبيدة:

- إنى أكذب خالدًا نفسه - فهو أمير على ما كان عليه - وإن لم يكذب نفسه فهو معزول... فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين.

فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد.. قال له خالد:

- أمهلنى حتى أستشير أختى .

فذهب إلى أخته فاطمة - وكانت تحت الحارث بن هشام - فاستشارها فى ذلك، فقالت له:

- إن عمر لا يحبك أبدا، وإنه سيعزلك، وإن كذبت نفسك .

فقال لها: صدقت والله يا أختاه.

فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ إحدى نعليه وترك له الأخرى .

وخالد يقول: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين .

★ ★ ★

عمر .... الزاهد المتقشف!!!

إن أخبار عمر فى الزهد والتقشف مستفيضة... فقد روى أنه وجد على مائدته وهو خليفة المسلمين خلا وملحا، فقال:

لا أجمع بين إدامين.

رحمك الله يا ابن الخطاب، أترى الملح والخل إدامين فتحرج من الجمع بينهما، وإن أفقر رعيتك لا يراهما من أنواع الأدام، وإنما يراهما من الأطعمة المشهية، التى تحرك الشهية لما يكون قد أعد من طعام وإدام؟!

وأخبار عمر فى الزهد والتقشف مستفيضة... فمن ذلك أن بعض أعاظم الفرس وفد على المدينة، فسأل عنه فدل عليه فوجده نائما فى المسجد على التراب.. فقال:

- عدلت.. فأمنت، فنمت.

ومنها أنه لما فتح الله عليه الشام سافر من المدينة إليها وكان معه خادم وناقة واحدة، فكانا يتعاقبانها، يركب عمر والخادم يمشى، ويركب الخادم وعمر يمشى، فلما دخلا الشام كانت النوبة فى المشى على عمر فدخلا المدينة والخادم راكب وعمر يمشى.

ومنها أن عثمان بن عفان أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر شديد السموم، فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لف رأسه برداء، يطرد الإبل، يدخلها حظيرة الصدقة، فلما انتهى إليه إذا هو عمر بن الخطاب فتلا قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

وأشار إلى عمر وقال: هذا والله القوى الأمين.

ولسنا نريد أن نستقصى هذه الأخبار فى زهد عمر وتقشفه، وإنما نريد أن نلم ببعض الأسباب التى خلقت فى عمر حالة الزهد هذه.

إن عمر كان قوي الجسم.. صحيح البنية مرهف الحس، كسائر الناس، يعرف ما يلائم حواسه ومشتهياته، وينكر غير الملائم...

فما الذى جعله يهرب من الملائم إلى غير الملائم؟

إن عمر لم يؤثر ذلك إلا وقد نشأت له حالة نفسية باين بها الناس الذين لا يسلكون مسلكه ولا ينهجون منهجه.. هذه الحالة هى اعتقاده خساسة ما زهد فيه من حظوظ الدنيا، وعرف ما رغب فيه مما اختار لنفسه، وعلمه أنه إذا باع هذه بتلك كان رابح الصفقة، غانم التجارة، فباع نعيم الدنيا وملذاتها قادرا عليها بما عند الله من رضوان.

★ ★ ★

تدبر القرآن الكريم:

إن تدبره للقرآن الكريم هو الذى غرس فى عمر هذه العقيدة طول استماعه وتدبره لما ورد فى القرآن من حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة.

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦) .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (الشورى: ٢٠) .

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَآ إِلَّا ٱلصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٧٩ ، ٨٠) .

هكذا كان تدبر القرآن الكريم سببا فى غرس هذه العقيدة فى عمر.. وهناك سبب آخر ألا وهو حب عمر لرسول الله ﷺ وتأسيه به وتأثره طريقه.

يدل لذلك ما ورد أنه حين فتح عليه الفتوحات، قالت له حفصة:

- البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق.. ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر.

فقال عمر: يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته.

قالت: بلى.

قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة.

وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو أهله حتى فتح الله عليه خيبر؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قربتم إليه يوما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الأرض.

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية، فثنيت له ليلة أربع طاقات، فنام عليها، فلما استيقظ قال: منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها.

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان يضع ثيابه لتغسل، فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة؟!

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صنعت له امرأة من بنى زفر كساءين إزارا ورداء، وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به، ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه، فصنع كذلك.

ثم يقول عمر:

- يا حفصة: قد كان لى صاحبان سلكا طريقا، فإن سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما.. وإنى والله سأصبر على عيشهما الشديد، لعلى أدرك عيشهما الرغيد.

★ ★ ★

الراعى - والوالى

ولما كان الراعى أولى من رعيته بالتقشف كما يقول عمر.. فعندما أصبح ولى أمر المسلمين، رأى أنه يسع الرعية مالا يسع الراعى من التمتع بحظوظ الدنيا، لأن الراعى إن أشبع شهواته حزبت وقويت، ولا تصل إلى غاية من الحظوظ التى تطمع إلى غيرها، فاستكثر من الأموال ربما كان ذلك ذريعة إلى تطلعه إلى ما بأيدى الرعية، ليشبع شهواته الجائعة، ويسكت نوازعه القوية، لذلك كان يحب من ولاته المتقشف المعتاد شظف العيش.

يروى أنه كان يجمع ولاته فى كل عام من أمصارهم ويولم لهم وليمة يقدم فيها من خشن الطعام وغليظه، ثم يرقبهم وهم يأكلون، فمن رآه قد عافه علم أنه مترف، فكرهه لولايته، ومن رآه قد ملأ بطنه منه، علم أنه متقشف فأحبه لولايته.... ولم يكن عمر بدعًا فى هذا الرأى فقد رآه بعض فلاسفة اليونان من قبله.

ومن يقرأ الجمهورية لأفلاطون ير ما يشترطه على الحكام من عزوف عن حظوظ الدنيا ومتعها.

والفرق بين أفلاطون وعمر أن أفلاطون رآه وفرضه على الحكام

أما عمر فقد رآه وفرضه على نفسه ونفذه بالدقة والإحكام.

وكان يرى أن الخليفة يجب أن يكون حظه من الدنيا كحظ أدنى رعيته يشهد لذلك قوله:

- إذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس.

التقشف يحفظ القوة والنجدة

ومن الأسباب التى جعلت عمر يؤثر التقشف على الرفاهية والترف أنه كان يرى أن الترف مُذهب للبأس من الأمة... وأن الخشونة تحفظ عليها قوتها ونجدتها، لذلك كان يكره الترف فى كل شىء لما يورث من النعومة والطراوة واللين ... فمن ذلك أنه ما كان يركب الفرس مستعينا بالركاب بل يقفز من الأرض فإذا هو على ظهر الفرس فكأنما خلق عليه.

رحم الله عمر بن الخطاب... فقد كان صادق الفراسة، قوى الظن، فإذا لخصت تاريخ الأمة الإسلامية تراه يتلخص فى هذا البيت:

ما أفسد الدين والدنيا سوى ترف ... هذى بواقيه تسرى فى بواقينا

من ديوان حافظ إبراهيم ... عن زهد عمر:

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمة ... خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه ... وفى البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت : يا قوم، كاد الزهو يقتلنى ... وداخلتنى حال لست أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم (عمر) ... ويرتضى بيع باقية بفانيها
ردوا ركابى فلا أبغى به بدلا ... ردوا ثيابى فحسبى اليوم باليها

★ ★ ★

عمر .... والناس

يقول عمر فى وصيته للناس كافة:

- أوصيكم بكتاب الله فإنكم لم تضلوا ما اتبعتموه.

- وأوصيكم بالمهاجرين فإن الناس يكثرون ويقلون.

- وأوصيكم بالأنصار فإنهم شعب الإسلام الذى لجأ إليه.

- وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم وإخوانكم وعدو عدوكم.

- وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم.

علم «عمر» فى مستهل خلافته أن الناس وصفوه بالشدة والغلظة.. وقالوا إن «عمر» كان يشتد ورسول الله بين أظهرنا.. واشتد علينا أكثر أثناء خلافة أبى بكر... فماذا سيفعل بنا وقد تولى الخلافة؟؟

ويستهل «عمر» خلافته بهذه الخطبة بعد أن علم رأى الناس فيه.

يقول عمر:

- ... بلغنى أن الناس هابوا شدتى، وخافوا غلظتى، وقالوا: قد كان عمر يشتد ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر ولينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه ..؟

ألا من قال هذا فقد صدق .. فإنى كنت مع رسول الله عونه وخادمه. وكان عليه السلام من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة وكان كما قال الله تعالى: ﴿... بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدنى، أو يدعنى فأمضى، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض، والحمد لله على ذلك كثيرا، وأنا به أسعد.

ثم إنى قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض... ولست أدع أحدا يظلم أحدا، أو يعتدى عليه حتى أضع خدى على الأرض حتى يذعن للحق، وآتى بعد شدتى تلك، أضع خدى على الأرض لأهل العفاف، وأهل الكفاف.

ثم يتحدث إلى الناس فيقول عمر:

- ولكم علىّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها.

- لكم على ألا آخذ شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه.

- ولكم علىّ إذا وقع فى يدى، ألا يخرج منى إلا فى حقه.

- ولكم علىّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأشد تغوركم.

- ولكم علىّ ألا ألقيكم فى المهالك، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم. فاتقوا الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفس بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم..!!

وتنتهى خطبة عمر فى الناس.

إنه فى هذه الخطبة يرى مسئوليته مباشرة عن كل رجل فى سرية وعن كل امرأة فى بيتها.. وعن كل رضيع فى مهده.

وعمر، عندما يبدأ مسئوليته تجاه الناس، نجده يعيش فى أدنى مستويات عيشهم... إذا مدت إليه لقمة متميزة قال:

- بئس الوالى أنا إن طعمت طيبها، وتركت للناس عظامها.

والعجيب أن ابن الخطاب، لم يسلك سلوكه هذا تجاه الأحياء وحدهم، بل تجاه الأموات أيضا..!!

فكان يرفض أن يظفر بنعيم لم يظفر به إخوانه الذين سبقوه إلى الله، واستشهدوا فى سبيله قبل أن يمكن للإسلام والمسلمين.

حين زار الشام، جئ له بطعام طيب، مختلف ألوانه، وبدلا من أن يقبل عليه، وينعم بمذاقه، رمقه بعينين باكيتين وقال:

- كل هذا لنا، وقد مات إخواننا فقراء لا يشبعون من خبز الشعير ؟؟!!!

إنه هنا يهدد العتاة حتى يخضعوا للحق.

وفى الوقت نفسه يضع خده هو على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.

فى عام الرمادة يسمع عن جماعة فى أقصى المدينة، قد نزل بهم من الضر أكثر مما نزل بأهل المدينة كلها.. فيحمل فوق ظهره جرابية من دقيق، ويحمل خادمه «أسلم» قربة مملوءة زيتا، ثم يهرولان إلى هناك يحملان النجدة والغوث.

ويطرح أمير المؤمنين بردائه ويطهو بنفسه طعامهم حتى يشبعوا... ثم يرسل خادمه ليعود إليه بإبل يحملهم على ظهورها إلى داخل المدينة حتى يكونوا بقرب منه، وحتى ينزلوا مكانا أطيب.. وينالوا رعاية أكثر.

إنه يفعل كل هذا ولسان حاله يقول:

- الناس .. الناس .. الناس .. الناس.

نعم إنها.. إنها هتافه المستمر ... الناس ... الناس ... الناس.

والعجيب أن «عمر» نراه وهو يجود بأنفاسه الطاهرة، وجراحه النبيلة الشهيدة تنزف دما، لا يشغله فى هذه الظروف القاسية.. إلا شىء واحد.. هذا الشىء الواحد هو أمر الناس فيدعو بالستة الذين اختارهم، ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد... وإذ يحضر منهم على، وعثمان، وسعد، يوصيهم بأمر الناس وهو لا يقوى على الكلام فيقول لعلى:

- يا على، إذا وليت من أمور الناس شيئا، فأعيذك بالله أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس..!!

ويقول لعثمان:

- يا عثمان، إذا وليت من أمور الناس شيئا، فأعيذك بالله أن تحمل بنى ابن معيط على رقاب الناس!!

ويقول لسعد:

- يا سعد.. إذا وليت من أمور الناس شيئا، فأعيذك بالله أن تحمل أقاربك على رقاب الناس..!

وفى العام الذى لقى الله فيه، كان على موعد مع نفسه أن يطوف بجميع الأمصار ليتفقد أحوال الناس ويبلو أخبارهم.

قال يوما لأصحابه:

لئن عشت إن شاء الله، لأسيرن فى الرعية حولا، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى. أما ولاتهم فلا يرفعونها إلىَّ. وأما هم فلا يصلون إلىَّ... أسير إلى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين، وبمصر شهرين، وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين، وبالبصرة شهرين.. والله لنعم الحول هذا.

★ ★ ★

عمر .. السياسى .. الإدارى .. المثل الأعلى

لما ولى عمر بن الخطاب الخلافة، وبسط بفتوحاته السريعة سلطان المسلمين على مصر وفلسطين والشام والعراق، واجه العرب حالات جديدة ومشاكل لاعهد لهم بمثلها.... فهذه موارد للإيراد تدر على المدينة أموالا غزيرة لابد من تنظيم الوسائل لجبايتها وحفظها وإنفاقها... وهذه جيوش متباعدة تعددت أمامها ميادين القتال وتغيرت أساليب الحرب، ولا مندوحة عن تموينها وإيجاد المراكز وتوفير كل شىء لها.

وتلك مشكلات الفتح وما تستتبعه من وجوب تقدير العلاقات بين الغالبين والمغلوبين وفرض الضرائب على المسلمين.. وكذلك أحوال الزواج وطرائق فى التقاضى وأنواع من الجرائم لم يألفها العرب من قبل ولم ينص عليها فى القرآن، وتلك فتن فى الداخل ينبغى قمعها ومؤامرات فى الخارج يحسن اتقاؤها وصلات بالدول المجاورة تجب رعايتها والمحافظة عليها، وتلك شعوب نافرة متذمرة أكرهت على ترك دينها أو افتداء عقائدها فلا أمن ولا طمأنينة إلا بتألفها وضم شتاتها حول رأية الإسلام، وذلك دين يريد صاحبه أن يفرض على تلك الشعوب ولكن بالتى هى أحسن فلا غصب ولا إكراه ولا إعنات.

واجه المسلمون تلك الحالات والمشكلات فى خلافة عمر، فلم يكن بد من تغيير مناهج الحكم واستنباط أساليب فى الإدارة أوفق لسياسة الظروف الجديدة وأليق برعاية شئون تلك الأقطار الواسعة الأرجاء المتباينة العادات والأخلاق والمدنيات واللغات والأديان.

وما من شك فى أن هذه المهمة السامية كانت تتطلب ممن يتولاها مواهب ومؤهلات أقلها الإلمام بجغرافية الأقاليم المفتوحة وبطبائع أهلها والدراية بأصول السياسة والتشريع، والخبرة بشئون الحكم والإدارة والإحاطة بالأحوال المحلية فى كل قطر لاختيار الوالى الصالح له ومن التشريعات الملائمة لمكانه.

وإنه لمما يثير إعجاب التاريخ بل لمما يبهر عقول المؤرخين أن رجلا كعمر ابن الخطاب نشأ على الفطرة، ومات على الفطرة، ولم يترب أى تربية سياسية تؤهله للحكم والإدارة... ولم يتلق أى علم من علوم الدنيا يستنير به فى سياسة الدولة، ولم يخبر بالمران ولا بالاحتراف قيادة الرجال والشعوب وتسيير الشئون العامة.

لقد استطاع عمر أن ينهض بتلك المهمة المبهظة، وأن يحمل أعباء الحكم فى إمبراطورية ناشئة مختلفة العناصر مترامية الأطراف.

واستطاع أن ينجح إلى أقصى حدود النجاح فى توطيد دعائم الدين الجديد وفى ترسيخ قواعد الأمن والنظام وفى التمكين والفتح بين أقوام مختلفى الأجناس والأديان غلبوا على أمرهم ولكنهم لم ينفكوا يحنون إلى التحرر من ربقة الإسلام والمسلمين.

ولو كان العرب دونوا سير عظمائهم فى حياة أولئك العظماء أو بعد وفاتهم أو تركوا لنا فيما تركوا شيئا عن نشأة عمر وشبابه، لاستطعنا على ضوء هذه المعلومات أن نحلل شخصية الرجل لنستبين سر عظمته ولنعلل ذلك النجاح الذى أحرزه وصار به المثل الأعلى للحاكم السياسى والإدارى على مدى العصور.

ولكن العرب لم يدونوا شيئا والمتأخرين من مؤرخيهم أغفلوا هذه الناحية الهامة فى تاريخ عظماء المسلمين ... فلم يحدثونا عن عمر حديثا مستفيضا إلا بعد دخوله فى الإسلام.

ولذلك قد تظل عظمة هذا الرجل البديع لغزا مستعصيا على الفهم والتحليل إذا لم نرجع أسبابها إلى ثلاثة عوامل أساسية أثرت فى حياته وقادت خطاه وأنارت بصيرته ووجهته ذاك التوجيه وهى:

حسن الإسلام ★ وحسن الخلق ★ وحسن الفطرة

فأما الإسلام الحسن، فقد هذب طبعه وصقل روحه وزهده فى الدنيا وبث فيه الوفاء لله والشعور بالواجب ونسيان الذات وإفناء النفس فى سبيل الدولة والرعية.

وأما الخلق الحسن، فقد صيره القدوة العليا للناس فى الفضائل الإنسانية حتى لقد رضى عماله بشدته اعتمادا على عدالته وتحـ ئوا بطشة إيمانا بنزاهته واحتذوا حذوه فى الصبر والزهد والعدل والقناعة، فكانوا خير عمال عرفهم المسلمون... وأما الفطرة الحسنة فقد عوضته ما فاته من علوم الدنيا وسهلت عليه فهم الأمور وسبر أغوار الرجال والشعوب واستنباط الأحكام من الشرع والسنة وتطبيقها مع مراعاة أحوال الزمان والمكان. حتى قال فيه عبدالله بن مسعود:

- «لو وضع علم عمر فى كفة ووضع علم أحبار العرب فى كفة لرجح بهم علم عمر».

وإنا لنتتبع سيرته منذ ولى الخلافة إلى أن أسلم روحه لخالقها فلا تراه انحرف يوما عن الاهتداء فى أحكامه بهدى القرآن وسنة الرسول ولا حاد مرة عما يوجه الخلق الفاضل القويم، ولا تصرف في أمر تصرفا غاشما ينم عن طيش أو جهل أو غباء، حتى لقد استحق قول على بن أبى طالب فيه يوم رآه مسجى علي فراش الموت.

«ما على وجه الأرض رجل أريد أن ألقى الله بصحيفته إلا هذا المسجى»

وقول سعيد بن زيد وهو يبكيه :

- إن موت عمر قد ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة.

حدث الأحنف قال: كنا جلوسا بباب عمر وقد سألناه:

- ماذا يحل لأمير المؤمنين من مال الله؟

فقال: أنا أخبركم بما أستحله منه، بردة فى القيظ وبردة فى الشتاء، وما أحج به وما أحج عليه، وقوتى وقوت عيالى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبنى ما يصيبهم.

ذلك رأيه رضى الله عنه فبما ينبغى أن يتخلق به الحاكم ليكون قدوة فى الزهد والقناعة للولاء والمحكومين.

ولقد كانت حياته طوال سنين خلافته العشر مصداقا عمليا لذلك المبدأ القويم.

كان العطاء الذى فرضه لنفسه لا يكفيه فأراد يوما أن يقترض مالا من أحد أصحابه فقال له صاحبه:

- وما الذى يمنعك أن تقترض من بيت المال يا أمير المؤمنين؟

فأجاب: أخشى إذا مت أن يغفلوا عن تقاضى ما اقترضت، أما أنت فلن تغفل عنه.

وكان لا يخص نفسه دون سائر الناس بميزة فى ملبسه ومركبه ومسكنه... بل كان يعتبر نفسه خادم القوم وراعى مصالحهم، يلتف فى كسائه ويحمل القربة وينام فى ظل جدار المسجد.

ولله ما أعظمه وهو يطوف ببيوت الفقراء من المسلمين فى المدينة ويقرع أبوابها سائلا النساء: ألكن حاجة ؟؟ أتريد إحداكن أن تشترى شيئا ؟؟

فيرسلنه فى حوائجهن يقضيها لهن من الأسواق ومن لم تجد عندها مالا تشترى به اشترى لها من ماله الخاص... بل لله ما أعظمه وهو يسير خلف البريد إذا أتى من أحد الثغور أو من ميدان القتال ويقف بالأبواب قائلا:

- أزواجكن فى سبيل الله وأنتن فى بلد رسول الله، إذا كان عندكن من يقرأ فبها، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن.

ثم يقول:

- إن البريد يخرج يوم كذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن.

ثم يدور عليهن بالدواة والقراطيس والقلم ويقول:

- ادنين من الأبواب لأكتب لكن ما تشأن أن تقلنه لأزواجكن.

ويجمع الرسائل بعد ذلك ويسلمها إلى البريد.

وعمر بن الخطاب الإدارى يظهر بكل عظمته إذا ولى عاملا على إحدى العمالات. فإذا كلف عاملا بعمل من الأعمال خرج يشيعه ويوصيه فيقول له:

- إنى لم استعملك على المسلمين إلا لتقيم بهم الصلاة وتقضى بينهم بالعدل وتقسم بالحق، فإن فعلت فأنت أخى وأنا أخوك، وإن لم تفعل فبينى وبينك حدود الله.

وكان يستدعى الولاة ليوافوه فى الحج حيث يجتمع المسلمون فإذا اجتمعوا ناداهم قائلا:

- أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ له الحق، ولا أضعف من القوى حتى آخذ الحق منه. وإنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، فمن فعل به شىء من ذلك أو ظلم فليقم.

كانت طريقته فى الإدارة إطلاق الحرية للعامل فى الشئون المحلية وتقييده فى المسائل العامة ومراقبته فى سلوكه وتصرفاته.

يقول الجاحظ فى كتاب «التاج» :

- إن علم عمر بمن نأى عنه من عماله كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد وعلى وسادة واحدة.. فلم يكن فى قطر من الأقطار ولا فى ناحية من النواحى عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده فى كل ممسى ومصبح، وأنت ترى ذلك فى كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم يتهم أقرب الخلق إليه وأخصهم به.

كيف كان «عمر» يباشر مسئوليته تجاه ولاته ومعاونيه فى الحكم؟!

كان عمر يباشرها كما يباشر مسئوليته على طريقته.. طريقته التى لا تتغير، والتى لا نرى بنماذجها مهما تتكاثر أدنى تفاوت.

وكان يختارهم فى حرص من يختار مصيره.

إنه يعد نفسه مسئولا عن كل غلطة يرتكبها أحد ولاته، علم بها أم لم يعلم.

ومن ثم، فهو يقلب وجهه، ويعمل فكر، ويستخير ربه، ويستشير صحبه... ويتأنى ثم يتأنى قبل أن يختار عامله ومعاونه..!!

كان يقول لأصحابه:

- أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل أيبرئ ذلك ذمتى..؟؟

يقول أصحابه: نعم.

فيقول: كلا... حتى أنظر فى عمله، أعمل بما أمرته أم لا.

ويقول: أيما عامل لى ظلم أحدا، وبلغنى مظلمته فلم أغيرها، فأنا ظلمته.!!

اسمعوا ماذا يقول لخالد بن عرفطة.

يقول له عمر:

- إن نصيحتى لك وأنت جالس عندى، كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين، وذلك لما طوقنى الله من أمرهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة».

إن عمر يريد من ولاته أن يباشروا مسئولياتهم على المستوى نفسه الذى يباشر فيه مسئولياته.

وإذا كان ذلك عسيرا.. بل مستحيلا، لأن «عمر» لا يتكرر، فقد كان يبحث عن أقرب الناس مسافة فى هذا المستوى، وهو لهذا يختارهم ممعنا فى التحوط والدقة واليقظة.

فهو أولا يرفض كل من يسعى إلى المنصب أو يطلبه لنفسه.

وإنه فى هذا لمقتد برسول الله ﷺ، إذ كان يقول:

«إنا والله لا نولى هذا الأمر أحدا يسأله أو يحرص عليه»

هذه أولى خطوات «عمر» فى اختيار معاونيه.. استبعاد كل راغب فى المنصب، طامح إليه، لأن الذى يحمل شهوة الحكم يحمل شهوة التحكم.. والذين يطلبون أن يكونوا حكاما وولاة، لا يقدرون مسئولية الحكم تماما، وإلا لهربوا منه، وزهدوا فيه.

ذات يوم أسر فى نفسه اختيار أحد أصحابه ليجعله واليا على أحد الأقاليم... ولو صبر هذا الصحابى بضع ساعات، لاستدعاه «عمر» ليقلده المنصب الذى رشحه له.

ولكن هذا الصحابى تعجل الأمور التى لم يكن يعرف عنها شيئا، وذهب إلى أمير المؤمنين يسأله أن يوليه إمارة.

ويبتسم «عمر» ... يبتسم «عمر» لحكمة المقادير.

ويفكر قليلا ثم يقول لصاحبه :

- «قد كنا أردناك لذلك، ولكن من يطلب هذا الأمر لا يعان عليه ولا يجاب إليه».

ثم صرفه... و.. ولى غيره !!

البعض يسأل : وأى بأس فى أن يطلب رجل لنفسه الحق فى عمل يثق من قدرته على مسئوليته، وحفظ أمانته ؟؟

ألم يقل يوسف الصديق للملك : اجعلنى على خزائن الأرض، إنى حفيظ عليم؟!!

أجل، قال يوسف الصديق هذا، بيد أنه حين تقدم طالبا ذلك المنصب، كان تماما كفدائى يخاطر بحياته.. كان كما يقول (الأستاذ خالد محمد خالد).. كان كجندى الإطفاء يلقى بنفسه فى أفواه اللهب، وهو لا يدرى، أيعود معافى، أم يتحول هناك إلى رماد..؟!

صحيح أنه طالب بمنصب رفيع، بيد أن هذا المنصب ؟؟ كان غرما لا غنما، وكانت مخاطره المحققة، تفوق كثيرا مباهجه المحتملة.

كان هناك إفلاس، ومجاعة، وخراب، وكل المسئولين يهربون مما جنت أيديهم، ثم يتقدم رجل لينقذ أزمة تستعصى على الإنقاذ.

هذا ليس طالب منصب، بل عاشق الخطر، وراكب الصعب؟!

ذات يوم قال لإخوانه: «دلونى على رجل أكل إليه أمرا يهمنى».

قالوا: فلان. قال : لاحاجة لنا فيه.

قالوا: فمن تريد؟؟

قال: أريد رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا وكأنه أميرهم ... وإذا كان فيهم وهو أميرهم بدا وكأنه واحد منهم!!

انظروا ...

هذا ما يريده «عمر» تماما أمراء فى أخلاقهم وتواضعهم، وليس فى تبذرهم وعلوهم.

أمراء، لايفسح الناس لهم الطريق، ولا يتخطون الرقابَ بل يمشون على الأرض هونا، ويعيشون قانعين.

أمراء، يشاركون الناس ولايتميزون عليهم بغير العمل الصالح والجهد المبذول.

فى موسم الحج، وعلى ملأ من الأعداد الهائلة من حجاج المسلمين القادمين من كل بلد، جمع ماله وولاته جميعا، ووقف خطيبا:

- أيها الناس، إنى والله لا أبعث عمالى إليكم، ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك، فليرفعه إلىّ، فو الذى نفسى بيده لأمكننه من القصاص.

ويقف عمرو بن العاص.. الذى رأى فى هذه الخطبة خطرا على هيبة الولاة والحاكمين فيقول:

- أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليا على رعية فأدب بعضهم، أتقتضى منه؟؟

ويجيب عمر: «أى والذى نفسى بيده لأفعلن، فقد رأيت رسول الله ﷺ يقضى من نفسه، ويقول: «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليتقد منه».

يسأل وفد إزارة من أهل حمص عن واليهم - عبدالله بن قرط - فيقولون:

- خير أمير يا أمير المؤمنين، لولا أنه قد بنى لنفسه دارا فارهة.

ويجيب عمر فى دهشة : ماذا تقولون؟؟ دارا فارهة ؟؟

دارًا فارهة؟؟ يتشامخ بها على الناس؟؟ بخ بخ لابن قرط.

ثم يوفد إليه رسولا، ويقول له:

- ابدأ بالدار فاحرق بابها.. ثم ائت به إلىّ.

ويسافر الرسول إلى حمص... ويعود بواليها.

أتدرون ماذا فعل عمر بهذا الوالى؟؟ لقد امتنع عن لقائه ثلاثة أيام.

ثم فى اليوم الرابع يستقبله ويختار للقائه مكان «الحرة» حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها.

ولا يكاد الرجل يقبل، حتى يأمره «عمر» أن يخلع حلته، ويلبس مكانها لباس الرعاة ويقول له:

- «هذا خير مما كان يلبس أبوك ... »

ثم يناوله عصا، ويقول له:

- وهذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه. ثم يشير بيده إلى الإبل ويقول له:

- اتبعها وارعها يا عبد الله.!!!

ثم بعد حين، يستدعيه، ويقول له معاتبا:

- هل أرسلتك لتشيد وتبنى..؟! ارجع إلى عملك ولا تعد لما فعلت أبدا..!!

هذا موقفه من رجل شهد له قومه بأنه خير أمير لولا أن ميز نفسه بدار فارهة..!!

ما رأيكم فى هذا التصرف من عمر ؟؟

ألا ترون أننا أمام أسطورة إدارية.. بل لو كانت أسطورة لصعب تصديقها.. ولكن لحسن حظ البشرية كلها أن «عمر» لم يكن أسطورة، بل كان حقيقة ملأت الزمان والمكان، وكان هدى من الله للناس يقول لهم: هكذا أردت أن تكونوا.

وكان عمر يعطى عماله الأتقياء.

زار «عمر» رضى الله عنه، بلاد الشام، مرة، فلما بلغ مدينة حمص أمر أهليها أن يسجلوا له فقراءهم، فلما اطلع على القائمة قرأ فى رأسها اسم سعيد بن عامر.

فلما سأل عن سعيد بن عامر، قيل له: إنه أميرهم، قال: وأميركم فقير؟ وأين عطاؤه؟ قالوا: إنه لا يستبقى منه شيئا.

فأرسل إليه عمر ألف دينار، وقال: أقرئوه منى السلام، وقولوا له بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها.

فلما نظر سعيد إلى الدنانير جعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقالت له زوجته: ما شأنك أأصيب أمير المؤمنين؟

قال: أعظم، قالت: أفظهرت آية؟؟ قال: أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتنى، الفتنة أتتنى: فقالت: لا عليك، وزع المبلغ على الفقراء.

فلما تنفس الصبح خرج من منزله ومعه الدنانير، فصادف جيشا من جيوش المسلمين فوزعها عليهم وعاد إلى منزله فرحًا.

هكذا كان «عمر» يبر بالأتقياء من عماله.

شكا رجل من العمال إلى سيدنا عمر، رضى الله عنه.. أبا موسى الأشعرى لأنه أعطاه بعض سهمه، وأصر الرجل على أن يأخذ سهمه كله فضربه أبو موسى وحلق شعره... فبعث عمر إلى أبى موسى يقول:

- إن كنت فعلت ذلك فى ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له فى ملأ من الناس حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك فى خلاء من الناس فاقعد له فى خلاء من الناس حتى يقتص منك... فقعد موسى للقصاص.. ولكن الرجل قال: اللهم قد عفوت.

وهكذا يأخذ عمر حق عماله حتى من أقرب المقربين إليه.

★ ★ ★

عمر .. والعدل

ولى زيد بن ثابت القضاء فى أيام عمر فدخل عليه، مرة أبىّ بن كعب، وعمر بن الخطاب، خليفة المسلمين، ليحكم بينهما فى قضية.. فلما رأى القاضى أمير المؤمنين عمر قام من فوره وتخلى له عن أحسن مكان فى الحجرة، فغضب عمر وقال:

- هذا أول جور فى حكمك، والواجب أن أجلس بجانب خصمى، ولما انتهى زيد من نظر القضية قال له عمر:

- يا زيد.. لايكون القاضى عادلا إلا إذا تساوى عنده الرئيس والمرءوس.

حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال.

جلد أبو موسى الأشعرى، مرة، رجلا يثبت عليه شرب الخمر، وزاد على جلده، - وهو الحد المقرر - بأن حلق شعره وسود وجهه.. ونادى فى الناس ألا يجالسوه ولا يؤاكلوه.

فذهب الرجل إلى عمر شاكيا أمره لمجاوزته الحد المقرر فى عقوبته. فأعطاه عمر مائتى درهم تعويضا عما أصابه، وترضية له.. وكتب إلى الوالى يقول:

- «لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الناس، وأمره أن يعود فينادى من ناداهم من قبل أن يجالسوه ويؤاكلوه».

حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال.

حدث مرة أن ولدًا لعمرو بن العاص نازع شابا من دهماء المصريين فى ميدان السباق فى عهد ولاية أبيه على مصر، فضرب المصرى بالسوط، فأقسم المجنى عليه ليشكونه إلى عمر... فقال له: اذهب فلن يصيبنى شىء من شكواك فأنا ابن الأكرمين.

فرحل الفتى من مصر إلى الحجاز.. ورفع شكواه إلى الخليفة، فأرسل الخليفة إلى مصر يستدعى الوالى وابنه.. وجلس للمظالم علانية.

فقال الشاكى مخاطبا عمر: يا أمير المؤمنين، إن هذا - وأشار إلى ابن عمرو - ضربنى ظلما، ولما توعدته بأن أشكوه إليك قال: اذهب فأنا ابن الأكرمين.

فنظر عمر إلى عمرو وقال قولته المشهورة:

- «بم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»؟

وبعد أن تبين له صدق المصرى فى دعواه توجه إليه وناوله درته، وقال له: اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك. وبعد أن اقتضى المصرى لنفسه منه طلب إليه أمير المؤمنين أن يضرب عمرو بن العاص نفسه الذى اعتز ابنه بجاهه فارتكب ما ارتكب، ولولا أن الشباب المصرى صفح عن عمرو وقال مكتفيا: «لقد ضربت من ضربنى يا أمير المؤمنين»، لنال والى مصر نفسه سياط واحد من دهمائها عقابًا له على استغلال أفراد أسرته لنفوذه وعدم مراقبته لهم.

★ ★ ★

الصدقات للمساكين.. حتى لو كانوا يهودا

أوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على العاجز عن الكسب وعلى الشيخ الفانى، وعلى المرأة، إذا لم يكن لواحد من هؤلاء من تجب عليه النفقة من أقربائه.. ولا يفرق الإسلام فى ذلك بين المسلم والذمى.

فقد روى الإمام أبو يوسف فى كتابه «الخراج» أن عمر رضى الله عنه، مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضريرا، يبدو عليه أنه ذمى.

فضرب عمر بعضده، وقال: من أهل الكتاب أنت ؟

فقال: يهودى، فقال: وما ألجاك إلى ما أرى؟؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن.

فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله وأعطاه شيئا مما عنده ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له:

- انظر هذا .. فو الله ما أنصفنا الرجل إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِين ...﴾ (التوبة: ٦٠) . وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ورد عنه الجزية وعن أمثاله.

تخلى «جبلة بن الأبهم» وكان من أمراء الغساسنة الذين كانوا تحت حماية الدولة الرومانية الشرقية عن ملكه ودخل فى الإسلام.

فكتب إليه سيدنا عمر يستقدمه إلى الحجاز، فقدم فى أبهة الملك، وكان إسلامه فتحا عظيما بغير عناء، ثم خرج يطوف بالكعبة.

وحدث أن وطىء على إزاره رجل من بنى فزارة، فلطمه الأمير فهشم أنفه، فشكاه الرجل إلى عمر، فبعث عمر للأمير يسأله فى ذلك فأجابه بما حدث، وأضاف أنه ترفق بالرجل فلم يفعل أكثر مما فعل.

ولكن ماذا فعل عمر؟؟

وماذا قال لضيفه؟؟

اسمعوا ماذا قال عمر لضيفه الأمير.. قال له:

- إما أن تسترضى الرجل وإلا أقدته منك.

ويصعق الأمير؟!!!

ما هذا الذى تقوله للأمير يا ابن الخطاب؟؟

لم يعبأ عمر بمكانته كأمير ولا بما يفيد الإسلام منه.. وفى سبيل العدالة وإحقاق الحق، قال عمر للأمير:

- إن الإسلام قد سوى بينك وبين هذا الرجل.

يقول الأمير وهو فى قمة غضبه:

- ما دام الإسلام قد سوى بينى وبينه فليس أمامى إلا أن أتنصر.

فرد عمر: إذن أضرب عنقك.

وما كان من الأمير إلا أن دبر أمره للهرب من المدينة - ولولا أن هرب - لضرب عمر عنقه بالفعل.

لما علم أن بعض الأغنياء أمسكوا أيديهم عن التصدق قال:

- «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء».

مما يفيد أن لولاة الأمر إذا قصر الأغنياء فى الإسهام فى إسعاد الجماعة والتعاون فى البر أن يفرضوا فى أموالهم ما يسد حاجة الفقراء، كى لا يكون المال دولة بين الأغنياء خاصة.

وكان إذا نهى الناس عن شىء جمع أهله وعماله فقال لهم:

إنى نهيت الناس عن كذا وكذا.. وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا فيكم فعل إلا أضعفت عليه العقوبة.

ذات يوم تلقى شكاية ضد والٍ له، هو : سعيد بن عامر الجمحى تتضمن ثلاثة مآخذ:

أولها: أنه لا يخرج إلى الناس حتى يتعالى النهار.

ثانيها: أنه لايجيب أحدا بليل.

ثالثها: يغيب عن الناس كل شهر يوما، فلا يرى أحدًا ولا يراه أحد.

واستدعاه «عمر» وواجهه بالشاكين، وقال لهم: تكلموا.

قالوا: لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار.

ونظر أمير المؤمنين صوب سعيد وسأله أن يجيب.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن كنت لأكره ذكر السبب، ليس لأهلى خادم فأنا أعجن معهم عجينى.. ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى، ثم أتوضأ وأخرج إليهم.

وأشرقت أسارير «عمر» ... فقد بدا أنه لن يساء فى رجل وثق فى دينه، واختاره بنفسه.

ثم قال للشاكين: وماذا أيضا...؟

قالوا: لا يجيب أحدا بليل.

قال سعيد: والله إن كنت لأكره ذكره، إنى جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل.

قال عمر: وماذا أيضا تشكون منه ؟

قالوا: إن له فى الشهر يوما لا يقابل فيه أحدًا.

قال سعيد: ليس لى خادم يغسل ثيابى، ففى هذا اليوم أغسلها وانتظرها حتى تجف، ثم أخرج إليهم آخر النهار.

قال عمر وقد غمره الحبور والبشر: الحمد لله الذى لم يخيب فراستى.

هل رأيتم.. وهل سمعتم كم هو سعيد؟؟

كم هو سعيد لأن الله لم يخيب فراسته فى اختياره لعماله أو لرجاله أو لأمرائه ؟؟

إن سعادة ابن الخطاب تظهر حين تظهر براءة أحد رجاله.

ثم إنه فى الوقت نفسه لايشهد الحاضر من رجاله فقط بل هو يشهد الغائب منهم..

وهو لم يراقب الغريب... ولكنه أيضا - كما يراقب القريب - يراقب البعيد أيضا... وكما يراقب الحاضر.. يراقب الغائب أكثر وأكثر.

أرسل عمير بن سعد «واليا على حمص».

فمكث هناك عاما لا يرسل خراجها، ولا تصل منه أية أنباء، فقال: «عمر» لكاتبه:

- اكتب إلى عمير، فإنى أخاف أن يكون خائنا .

وأرسل إليه يستدعيه ...

وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجلا أشعث أغبر، تغشاه وعثاء السفر، يكاد يقتلع قدميه من الأرض اقتلاعا من طول ما لاقى من عناء وبذل من جهد ... على كتفه اليمنى جراب وقصعة وعلى كتفه اليسرى قربة صغيرة فيها ماء.. وإنه ليتوكأ على عصا لايئودها حمله الضامر الواهن .. ودلف إلى مجلس «عمر» فى خطوات متئدة ... وحياه بقوله:

– السلام عليكم يا أمير المؤمنين .

ويرد «عمر» السلام، ثم يسأله وقد آلمه ما رآه عليه من جهد وإعياء.. فيقول له:

– ما شأنك يا عمير ؟؟

– شأنى ما ترى.. ألست ترانى صحيح البدن ظاهر الدم، معى الدنيا أجرها بقرنها...؟!!

قال عمر: وما معك؟؟

قال عمير: معى جرابى أحمل فيه زادى.. وقصعة آكل فيها، وأدواتى، أحمل فيها وضوئى وشرابى، وعصاى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض، فو الله ما الدنيا إلا تبع لمتاعى.

قال عمر : أجئت ماشيا؟؟

– نعم ..

– أو لم تجد من يتبرع لك بدابة تركبها ؟؟

– إنهم لم يفعلوا، وإنى لم أسألهم ..!

– فماذا عملت فيما عهدنا إليك به ؟؟

– أتيت البلد الذى بعثتنى إليه، فجمعت صلحاء أهله، ووليتهم جباية أموالهم، حتى إذا جمعوها وضعتها فى مواضعها، ولو بقى لك منها شىء لأتيتك به.

- هل جئتنا بشىء؟!

- لا.. ولو بقى لك منها شىء لأتيتك به.

هنا قال عمر وهو سعيد منبهر:

- جددوا لعمير عهدا !!

قال عمير: «تلك أيام قد خلت، لا عملت لك ولا لأحد بعدك».

أتدرون ماذا فعل عمر عندما تجرأ أحدهم وأهداه هدية ما؟

إن الجميع يعرفون العداوة التى بينه وبين الهدايا إلا رجلاً طيبًا.. لم يكن يدرى شيئا عن كراهيته للهدايا، هذا الرجل الطيب الصالح هو: أبو موسى الأشعرى.

ذات يوم عاد أمير المؤمنين إلى داره ... فوجد قطعة من سجاد لا تزيد على متر، وبعض متر... فسأل زوجته «عاتكة»:

- ممن هذه؟؟ ومن جاء بها إلى هنا يا عاتكة؟؟

قالت الزوجة: أهداها إلينا أبو موسى الأشعرى.

ويدهش عمر.. ويتغير وجهه.. ويصيح فيها:

- تقولين أبو موسى؟؟ ايتونى به؟؟

ويجىء أبو موسى، تسبقه مخاوفه، ولايكاد يقترب من «عمر» ويلمح «السجاد»، «فى يمينه»، و«التحفز» في وجهه حتى يبادره القول:

- يا أمير المؤمنين .. لا تعجل علىّ لا تعجل علىّ ...

ولكن أمير المؤمنين يعاجله، ويلفح بالسجادة رأسه ويقول له:

- ما يحملك على أن تهدى إلينا؟؟

خذها.. خذها.. خذها فلا حاجة لنا فيها ..!!

وكراهيته للهدايا تعادل كراهيته للوساطة.

نعم.. إنه يكره الواسطة.. ويكره حتى الذين يتوسطون إليه حتى ولو كانوا أقرب الناس إليه.

حدث يوما أن أنزل بأحد ولاته جزاء.

ولم يجد الرجل الذى أنزل به الجزاء إلا أن يوسط عاتكة زوجة عمر لتشفع له عنده.

انتهزت زوجته «عاتكة» ساعة من ساعات فراغه وهدوئه، وشفعت للرجل.. ولم تزد على أن قالت: يا أمير المؤمنين، فيم وجدت عليه؟؟.. وترى عاتكة الانتفاضة على وجه «عمر».. فتكرر القول وهى تنظر إليه فى خوف وذهول.

- يا .. يا .. يا أمير المؤمنين.. فيم وجدت عليه..؟

وينتفض عمر أكثر... كأنما انهد من دين الله ركن ... وصاح فيها:

- يا عدوة الله، وفيم أنت وهذا؟؟

ولم تجد عاتكة إلا أن تكتم أنفاسها... وتقسم ألا تعود إلى ذلك أبدا ... إنه عمر - عمر - وكفى.

لقد عارض زوجته فى أن تتدخل فى مثل هذه الأمور .. حقا يا عمر إنك رجل بملايين الرجال.

ولكن .. ليس «عمر» هو المعارض دائما.. فلو كان قد عارض زوجته فى هذا الموقف.. فهو هنا ينحنى فى إعجاب وخشوع لسيدة عارضت رأيه فى تحديد المهور.

إن عمر يرفض أن يتدخل فى المسئولية غير مسئول ولو كان هذا الغير مسئول هو أقرب الناس إليه.. التى هى زوجته عاتكة.

فقد أراد رضوان الله عليه، أن يحدد المهور التى تدفع عند الزواج بحيث لا تزيد على قدر طفيف، فاعترضت عليه امرأة.

قالت: إن القرآن أطلق فى المهور فلم يجعل لها حدا فكيف أنت تحدده، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢٠، ٢١) .

فقال رضى الله عنه: أخطأ عمر وأصابت امرأة.

★ ★ ★

عمر .. والرجوع إلى الحق

كان رضى الله عنه يبغض التعصب للرأى إذا ظـن أنه خطأ.. ومن ذلك أنه كان يرى المفاضلة بين الأصابع فى الدية قياسا على ما فى الأسنان والأضراس... ولما علم فى التسوية بين دية الأصابع سنة من سنن رسول الله ﷺ رجع عن رأيه.. ومن ذلك ما روى أنه كان يقول: «الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا» حتى أخبره الضحاك ابن سفيان أن رسول الله كتب إليه أن يورث امرأة «أشيم الضبابى» من دية زوجها.. فما كان من عمر إلا أن رجع عن رأيه.

كما أنه يرى عدم جواز إنشاد الشعر بالمسجد تكريما له.. وأراد أن يمنع حسان ابن ثابت من ذلك.. لكنه عدل عن رأيه لما قال حسان:

- «لقد أنشدته وفيه من هو خير منى وخير منك» .

فكان رضى الله عنه يحرص على أن يكون الرجوع إلى الحق منهج جميع الحكام والقضاة والمفتين... ولذا كان مما كتب به إلى أبى موسى الأشعرى: ولايمنعك فقه قضيت به اليوم، فراجعت رأيك انهديت فيه لرشدك - أن تراجع فيه الحق - فإن الحق قديم ولايبطله شىء... ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.

يروى أن واحدا من أفراد المسلمين قال له فى مناسبة: اتق الله يا عمر، فعاتبه آخر بقوله: أتقول ذلك لأمير المؤمنين.

فقال عمر: دعه فليقلها، فلا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها.

روى أنه، رضوان الله عليه، رأى رجلا وامرأة على فاحشة، فاستشار الناس فى أمرهما دون أن يبوح باسمهما، فقال له على - كرم الله وجهه - إنه يجب أن تأتى بأربعة

شهداء على هذه التهمة إذا ما صرحت باسم الرجل والمرأة، وإلا وجب عليك حد القذف، شأنك شأن سائر المسلمين، نزولا على الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

فسكت عمر، ولم يذكر اسمى الرجل والمرأة نزولاً على حكم القرآن الكريم.

ونذكر هنا موقفه حين طلب من يوليه أمرًا من أمور المسلمين ثم قال:

- ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته.. وقلت لربى إن سألنى: سمعت نبيك يقول: «إن سالما شديد الحب لله تعالى».

فقال له رجل: أدلك على عبد الله بن عمر.

فقال: قاتلك الله. والله ما أردت عبد الله بهذا.. ويحك يا رجل كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته؟

ولقد روّى عمر فى الأمر... ولم يندفع وراء الفكرة الأولى... فقد رشح على ابن أبى طالب، لكنه عاد فنقض ما أبرمه بشأنه... وانتهى إلى رأى حصيف.. ألقى التبعة عن كاهله... وصان الأمة من الخلاف وبوائقه. ذاك أنه أصبح فدعا عليا، وعثمان، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، فقال لهم:

- إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم.. ولا أجد هذا الأمر إلا فيكم... وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض... وإنى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنى أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس.

فانهضوا إلى حجرة عائشة - بإذنها - فتشاوروا فيها، فدخلوا فتناجوا، حتى ارتفعت أصواتهم، فانتبه عمر، فقال: أعرضوا عن هذا.. فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع عليكم، إلا وعليكم أمير منكم. وما أظن يلى هذا الأمر إلا رجلان: على أو عثمان، فإن ولى عثمان فرجل فيه لين وإن ولى على ففيه دعابة، وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق.

وأمر أبا طلحة الأنصارى بتنفيذ خطة أوصاه بها، مؤداها أن يقتل الأقلية إذا خالفت.. فأسفرت المشورة عن اختيار عثمان، واستقرت الأمور، من غير أن يسفك دم.

ولم يرشح عثمان أحدا، لأنه اغتيل ولم يترك له الوقت الكافى للتفكير والترشيح، وبموته انهارت تلك الطريقة الانتخابية العادية التى كان لعمر فى توحيدها واختراعها ورعايتها الفضل الأول والأخير.

فقد اختلف علىّ ومعاوية على الخلافة وتقاتلا، وانشطر المسلمون شطرين، تناحرا حتى خلا الميدان من علىّ باغتياله، وصفا الجو لخصمه، والواقع أن الخلافة بعد «علىّ» كانت ملكا موروثا يفرض على المسلمين فرضا، ومن أبى قتل باسم الخروج على الجماعة وشق عصا الطاعة والمروق من أمر الله، وفقدت الخلافة مميزاتها وتجردت من معناها الأصلى، فبعد أن كان يتولاها أى مسلم يجمع على اختياره الجمهور، أصبح يتولاها صاحب الشوكة بحد الحسام، فلا مبالغة فى القول بأن الخلافة بالمعنى الذى فهمه عمر وصحابته ماتت بموت عثمان.

ولنستمع معا إلى وصية عمر - التى أوصاها لخليفته من بعده.

يقول «عمر» فى وصيته لخليفته:

- أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله، والمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم وأن يعرف لهم حرمتهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم رداء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال، ألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم، وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام.

وأن يؤخذ من حواشى أموالهم فيرد على فقرائهم.

وأوصيه بذمة والله وذمة رسوله، أن يوفى لهم بعهده وألا يكلفوا إلا طاقتهم وأن يقتل من ورائهم.

★ ★ ★

عمر .. والمال العام

إن مسئوليته تجاه المال العام تحير العقول وتبهر الأفئدة .

يقول عبد الله بن عامر بن ربيعة:

- صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة فى الحج، ثم رجعنا، فما ضُرب له فسطاط، ولاخباء، ولا كان له بناء يستظل به، إنما يلقى كساء على شجرة فيستظل تحته!!

ويقول بشار بن نمير، سألنى عمر: كم أنفقنا فى حجتنا هذه؟

قلت: خمسة عشر دينارا.

فقال عمر: لقد أسرفنا فى هذا المال..!!

أسمعتم؟؟

أنفق عمر خمسة عشر دينارا على الحج.. ويقول إنه بهذا المبلغ الخمسة عشر دينارا قد أسرف فى المال؟!!!

ألم أقل لكم إن مسئولية ابن الخطاب تجاه المال العام تحير العقول ؟؟

ألم أقل لكم إن مسئولية عمر تجاه المال العام تبهر الأفئدة ؟؟

أرأيتم الرجل الذى وضع تحت عتبة خزائنه مال كسرى وقيصر.. ثم يخرج إلى الحج وسط صحراء ملتهبة، فلا يهيىء لنفسه من ضرورات الرحلة شيئا..؟؟

إنه يذوق وقدة الحر، وقيظ الجبال المستعرة، مثلما تذوقه كافة الناس، وينفق خلال رحلته كلها خمسة عشر دينارا.. ثم يقول:

- لقد أسرفنا؟!!

ينفق خمسة عشر دينارا خلال رحلته للحج.. ويقول لقد أسرفنا ؟!!

كان مع الأيام تزداد تبعاته، وتزداد احتياجاته ونفقاته، ويرفع كلما هب الرخاء رواتب جميع المسلمين فى المدينة وخارجها، لكنه لا يفكر فى أن يزيد نفسه درهما... حتى سمع أصحابه يوما أن أمير المؤمنين يقترض ليعيش.. فاجتمع نفر من الصحابة معهم عثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، واتفقوا على أن يتحدثوا معه، ويطلبوا إليه أن يزيد فى راتبه، ومخصصاته، لكنهم عادوا وتهيبوا محادثته، لأنهم يعرفون أنه فى هذه المسألة بالذات شديد الوطأة، لافح الغضب.

قال عثمان: فلنستبرئ ما عنده خفية.. واتجهوا إلى حفصة بنت عمر، واستكتموها أمرهم، وطلبوا إليها أن تستطلع أمر أبيها فذهبت حفصة إلى عمر متهيبة، وأخذت تسوق الحديث بحذر ورفق.

فقال عمر: من بعثك إلى بهذا..؟؟

قالت: لا أحد...

قال: بل بعثك بهذا قوم، لو عرفتهم لحاسبتهم.

ثم قال لابنته: لقد كنت زوجة لرسول الله فماذا كان يقتنى فى بيتك من الملبس..؟

قالت: ثوبين اثنين..!!

قال: فما أطيب طعمة رأيتيه يأكلها..؟

قالت: خبز شعير طرى مثرود بالسمن..؟؟

قال: فما أوطأ فراش كان له فى بيتك..؟؟

قالت: كساء ثخين.. كنا نبسطه فى الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه.. وتدثرنا بنصفه..!!

قال عمر: «يا حفصة بلغى الذين أرسلوك إلىّ أن مثلى ومثل صاحبى - الرسول وأبى بكر - كثلاثة سلكوا طريقا. فمضى الأول وقد تزود فبلغ المنزل.. ثم اتبعه الآخر،

فسلك طريقه فأفضى إليه.. ثم الثالث، فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما ألحق بهما.. وإن سلك غير طريقهما لم يجتمع بهما.

ما رأيكم فيما يقوله عمر؟؟

ما رأيكم فى هذا المشهد الفذ؟؟

هل تستطيعون أن تأتوا بتعليق على هذا المشهد العظيم؟؟

أعتقد أن أفضل تعليق لهذا المشهد.. أن لا يكون هناك أى تعليق.

وكانت القيامة تقوم إذا سمع «عمر» أن درهما واحدا من الأموال العامة قد اختلس، أو انتهب، أو أنفق فى ترف أو إسراف، كان يرتجف.. وكان يكاد يصعق.. إذا علم أن درهما من المال العام قد اختلس.

إنه لو اختلس درهم واحد، كأن خزائن المال كلها قد ضاعت وليس درهما أو بعض درهم.

تعالوا وشاهدوا معى هذا المشهد.. إنه مشهد ليوم صائف قائظ، فقد كان «عمر» يقسم لو أن بعيرا من إبل الصدقة ضاعت على ضفاف دجلة أو الفرات، وعمر بالمدينة، لخاف أن يسأله الله عنها .. !!

ونشهد هذا المشهد العظيم معا..

ففى يوم صائف قائظ يكاد حره يذيب الجبال، أطل «عثمان بن عفان» من قباب له بالعالية... فرأى رجلا يسوق أمامه بعيرين صغيرين والهواء الساخن يغشاه كلفح السموم.

فقال محدثا نفسه: ما على هذا الرجل لو أقام بالمدينة حتى يبرد؟

وأمر خادمه أن ينظر من هذا الرجل العابر من بعيد، والذى تخفى الزوبعة والرمال الصافيات معالمه.

ونظر الخادم من فرجة الباب، فقال: أرى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين أمامه... وانتظر حتى اقترب الرجل، فعرفه الخادم وصاح: إنه عمر ... إنه أمير المؤمنين!!

فأخرج عثمان رأسه من كوة صغيرة متوقيا سخونة الريح، ونادى:

- ما أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟

أجاب عمر:

- بكران من إبل الصدقة تخلفا عن المرعى وخشيت أن يضيعا، فيسألنى الله عنهما...!!!

قال عثمان: هلم إلى الظل والماء، ونحن نكفيك هذا الأمر .

فقال له عمر: عد إلى ظلك يا عثمان.

قال: عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين .

قال: مرة أخرى: عد إلى ظلك يا عثمان.

ومضى لسبيله والحر يصهر الصخر.

هنا قال عثمان بن عفان، قال وهو مأخوذ ومبهور:

- من أراد أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى عمر..!!!

نعم.. من أراد أن ينظر إلى حامى المال العام فلينظر إلى ابن الخطاب - نعم - من أراد أن ينظر إلى الأمين على المال العام فلينظر إلى الفاروق - نعم - من أراد أن ينظر إلى الرجل الذى جعل من نفسه حارسا على المال العام... فلينظر إلى عمر بن الخطاب.

وصاحبنا «عمر» لم يكن حارسا على المال العام فحسب، بل كان فى الوقت نفسه يعمل على تنمية هذا المال، حقا يا عمر .. حقا يا رجلاً بملايين الرجال.

فهو مثلا يقاوم فكرة توزيع أرض السواد على الفاتحين لأن ذلك يخلق طبقة محتكرة، وفى الوقت نفسه عاجزة عن خدمة الأرض، غير خبيرة بزراعتها.. ويترك الأرض تحت أيدى زارعيها، مكتفيا بالضرائب التى تدفع لبيت المال، ثم ينال كل مسلم حظه منها.

وهو يشجع على إحياء الأرض الموات التى لاصاحب لها، والتى قال فيها الرسول عليه الصلاة والسلام: «من أحيا أرضا ميتة فهى له».

وحين يرى أمير المؤمنين أناسا يضعون أيديهم على هذه الأرض، ويسورونها، ثم يهملون استصلاحها وزراعتها، يسن قانونا يمنح «واضع اليد» فرصة مداها ثلاث سنوات فإذا عجز خلالها عن إحياء الأرض وتحويلها إلى حقل، أو بستان، أو مرعى، نحى عنها، وأعطيت لغيره من القادرين.

وهو كذلك يحض المسلمين على الكسب المشروع، فيغريهم بالتجارة الشريفة النظيفة، قائلا لهم: غداً سيكون لكم أبناء وحفدة، فماذا يغنى عنكم هذا الذى بأيديكم...؟.

وهو يعنى عناية خاصة بالثروة الحيوانية، فيخصص للماشية مرعى خصبا رحيبا، يرعى المسلمون فيه ماشيتهم بغير مقابل، وإنه ليتعهد هذا المرعى دائما... وقلما كان يوم يمر دون أن يرى الناس «عمر» قد خرج منتصف النهار، واضعا ثوبه فوق رأسه ليقيه من الشمس، قاصدا أرض الحمى والمرعى، يتعاهدها ويتفقدها، ويحذر حارسها من أن يسمح لأحد أن يعضد شيئا من شجرها، أو أن يضرب فيها بفأس.

هكذا كان عمر..

هكذا كان عمر يحمى المال العام ..

وهكذا كان عمر قد جعل من نفسه ومن ذاته حارسا لهذا المال.

وكان لحرص عمر للمال العام، أن أصبح لكل فرد راتب سنوى يكفيه أو يقارب كفايته، لا فى عاصمة الدولة وحدها، وهى المدينة بل فى كل أقطار الإسلام.

إن الثروة عند عمر، فى خدمة الإنسان، وليس الإنسان فى خدمة الثروة - لذلك كان ينزل غضبه الشديد على كل والٍ يحرم أهل ولايته لكى يرفع إلى المدينة خراجا كبيرا يظن أنه يكسبه رضاء أمير المؤمنين.. وكان يأمر أن نقسم خيرات البلد - أى بلد - على أهلها أولا، فإذا بلغوا كفايتهم، رفع إلى عاصمة الدولة نصيبها.. وكان يأمر عماله أن يتقاضوا الضرائب فى رفق وعدل ورحمة.

حمل إليه يوما مال وفير من أحد الأقاليم، فسأل عن مصدره وعن سر وفرته وكثرته ... فلما علم أنه من ضريبة الزكاة التى يدفعها المسلمون، والجزية التى يدفعها أهل الكتاب ... قال وهو ينظر إليها كثيرة عارمة:

- إنى لأظنكم قد أهلكتم الناس.

قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا صفوا عفوا.

قال عمر: بلا سوط ولا نوط..؟؟

قالوا: نعم.

قال عمر ووجهه يتهلل ويشرق:

- «الحمد لله الذى لم يجعل ذلك علىّ ولا فى سلطانى» .

ثم إن عمر كان يشعر أنه واحد من بين صفوف الشعب، وليس فوقهم فالحكم عند «عمر» ليس مزية أو امتيازا.. إنما هو وظيفة وليس استعلاء.. أمانة ليس كبرياء، لم يتميز عن الناس لأنه يحكمهم.. ولكن ما يميزه أنه أحكمهم.

والحكم فى نظر عمر كما هو فى نظر الإسلام - خدمة عامة فى أكثر مستويات هذه الخدمة مشقة، ومسئولية وشظفا:

إن عمر يعرف تماما أنه لن يكون عظيما إلا بقدر ما تكون أمته عظيمة

ولن يكون حرا إلا بقدر ما تكون أمته حرة

ولن يكون عزيزا إلا بقدر ما تكون أمته عزيزة

ولن يكون آمنا إلا بقدر ما يكون شعبه آمنا

إن عمر كان الحاكم الذى يعرف واجباته.. وكان المحكومون أيضا يعرفون واجباتهم بقدر ما يعرفون حقوقهم.. لذا تراهم لا يبخلون على حكامهم بكلمة الحق يقولونها عندما يحسون أن حاكمهم يميل إلى الحق.. فيجهرون بها عالية مدوية إلى أن يعود الحق إلى نصابه.

لقد كان الحكم عند «عمر» شركة متكافئة بين الحاكم والمحكومين ولكل من الشريكين نصيبه الكامل فى الشركة والمسئولية.

تعالوا نشاهد حذيفة عند الخليفة عمر ..

يدخل حذيفة على الخليفة العادل عمر بن الخطاب.. فيجده مهموم النفس باكى العين... فيسأله: ماذا يا أمير المؤمنين؟

فيجيب عمر: إنى أخاف أن أخطىء فلا يردنى أحد منكم تعظيما لى.

يقول حذيفة، فقلت له: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك إليه.. فيفرح عمر ويستبشر ويقول:

- الحمد لله الذى جعل لى أصحابا يقوموننى إذا أعوججت .

ويصعد رضى الله عنه المنبر يوما فيقول: يا معشر المسلمين.. ماذا تقولون لو ملت برأسى إلى الدنيا هكذا؟؟

فشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بذراعه: إذن تقوّم بالسيف هكذا.

فيسأله عمر: إياى تعنى بقولك؟

فيجيب الرجل: نعم إياك أعنى بقولى .

فتضىء الفرحة وجه عمر رضى الله عنه ويقول: رحمك الله، والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى.

وفى أحد الأيام يصعد المنبر ليحدث المسلمين فى أمر جليل ... فيبدأ خطبته بعد حمد الله بقوله: اسمعوا يرحمكم الله؛ ولكن واحدا من المسلمين ينهض قائما ويقول:

- والله لا نسمع .. والله لا نسمع .. والله لا نسمع .

فيسأله عمر فى لهفة: ولم يا سليمان؟؟

فيجيب سليمان: ميزت نفسك علينا فى الدنيا، أعطيت كلاً منا بردة واحدة، وأخذت أنت بردتين!!.

فيحيل الخليفة بصره فى صفوف الناس ثم يقول:

- أين عبد الله بن عمر؟؟

فينهض ابنه عبد الله قائلا: هأنذا يا أمير المؤمنين.

فيسأله عمر على الملأ: من صاحب البردة الثانية؟

فيجيب عبد الله: أنا يا أمير المؤمنين .

ويخاطب عمر - رضى الله عنه - سليمان والناس معه فيقول:

- إننى كما تعلمون رجل طوال، ولقد جاءت بردتى قصيرة فأعطانى عبد الله بردته فأطلت بها بردتى.

فيقول سليمان وفى عينيه دموع الغبطة والثقة:

- الحمد لله، الآن قل نسمع ونُطعْ يا أمير المؤمنين.

إن سليمان اعتقد أن عمر قد تعدى على المال العام.. وأخذ منه بردة.. أو أخذ من هذا المال أكثر من بردة.. إلا أن عمر أظهر له الحقيقة... وعندما عرف الرجل قال له قل.. نسمع ونطع يا أمير المؤمنين... والناس لاتسمع إلا الأمين الصادق.

ويدور ذات يوم حوار بينه وبين واحد من الناس.. ويتمسك الأخر برأيه، ويقول لأمير المؤمنين: اتق الله يا عمر.. ويكررها مرات كثيرة!!

ويزجره أحد الأصحاب الجالسين قائلا: صه .. فقد أكثرت على أمير المؤمنين.

ولكن أمير المؤمنين يقول له: دعه.. فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

وعمر لم يكن حريصا على المال العام أيام خلافته فقط بل إن هذا الحرص كان فى دمه حتى أيام رسول الله ﷺ

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال:

- أصاب عمر بخيبر أرضا.. فأتى إلى النبى ﷺ، فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منها فكيف تأمرنى بها؟

قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها.

فتصدق عمر رضى الله عنه بها وقال عنها: إنها لا يباع أصلها، ولا توهب، ولا تورث، فهى فى الفقراء والقربى والرقاب وفى سبيل الله والضعيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه.

وعمر كثيرا ما يعطى من ماله الخاص... إن وجد أنه لا حيلة فى العطاء من المال العام.. أو لو وجد أن الوقت لا يسمح بأن يعطى من هذا المال.. فى مثل هذه الحالات يعطى من ماله الخاص حتى ولو كان لا يملك إلا الشىء اليسير.

ها هو عمر يسير فى طريقه... وتلحق به امرأة شابة تطلب منه أن ينقذها وينقذ صغارها.

عن أسلم قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت:

- يا أمير المؤمنين.. هلك زوجى.. وترك صبية صغارا، والله ما ينضجون كَرْمًا ولا لهم زرع ولا ضرع.. وخشيت أن يأكلهم الضبع - أى السنة المجدبة - وأنا بنت خفاف بن يماء الغفارى رضى الله عنه وقد شهد أبى الحديبية مع النبى ﷺ فتوقف معها عمر ولم يمض ثم قال:

- مرحبا بنسب قريب .

ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه ثم قال:

- واقتاديه فلن يغنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين... أكثرت لها .

فقال عمر: ثكلتك أمك.. شهد أبوها الحديبية مع النبى ﷺ ، والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصنا زمانا فافتتحناه، ثم أصبحنا سهماننا فيه. (رواه البخارى والبيهقى)



عمر ... وكيف نفذ مبدأ الشورى!!

توفى النبى ﷺ فاشتد الكرب على أصحابه وأُذْهِل المؤمنون وفرح المنافقون وزلزلت عقيدة السواد الأعظم من العرب، فقام عمر رضى الله عنه وقال:

- إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات.

وتدارك أبو بكر رضى الله عنه الموقف وعاجل الفتنة التى أطلت بقرونها فخطب الناس فقال:

- من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

ومن خلال هذه الكلمات... ألقى «الصديق» الماء على النار... وأيقن عمر أن النبى الكريم قد مات حقا، واعتصم الصحابة بالصبر، وراح المهاجرون والأنصار يفكرون فيمن يخلفه... وارتجت مكة وكان أهلها يرتدون، وهرب عاملها فقام سهيل بن عمرو بباب الكعبة فقال:

- « يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد .. والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ ».

ومن خلال كلمات سهيل هذه... امتنع الناس عن الرِّدة.

هدأت المدينة ... وسكتت مكة .

وفيهما صحابة النبى وجيشه ومركز الحكومة الإسلامية الناشئة ومحور الحياة العربية فى الجزيرة والحجاز وبقية الأقطار التى دانت للحنفية. فلا خوف على الإسلام فى عنفوانه إذا اتفقت الآراء على اختيار خليفته.

ولم يكن اختيار خليفة الرسول بالأمر الهين، لتشعب المطامع وتعاكس الأهواء واشتباك المصالح، وطموح العصبيات إلى الاستئثار بالإمامة.. والإمامة فى هذا الوقت كانت تجمع السلطتين الأمنية والروحية.

هنا تجلى الحق !!!

هنا تجلت العبقرية.

هنا تجلت عبقرية الفاروق صاحب مبدأ الشورى، وبرزت صفة من أبرز الصفات التى يمتاز بها أفذاذ الرجال ممن يصنعون التاريخ.

سمع عمر أن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة وأجمعوا على تولية سعد بن عبادة ... وقالوا إن رفض المهاجرون قلنا لهم: منا أمير ومنكم أمير... فقال سعد: هذا أول الوهن.

و... ويسمع عن الخبر.

وهدته فطنته العملية إلى القضاء على بوادر الشقاق، فأتى منزل رسول الله وأبو بكر فيه.. فارسل إليه أن اخرج إلىَّ.

فرد عليه يقول: «إنى مشتغل» .

فقال عمر: قد حدث أمر لا بد لك .

فخرج إليه، فأعلمه الخبر .. فحضرا مسرعين نحوهم، ومعهم أبو عبيدة ابن الجراح .. وهناك خطبهم أبو بكر واختتم الخطبة بقوله:

- «نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة، ولاتقضى دونكم الأمور.

فعارضه خباب بن المنذر الأنصارى بخطبة حض فيها قومه على الاستمساك بالسلطان وختمها بقوله: إن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير.

هنا قال عمر:

- «لا يجتمع اثنان، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم، ونبينا من غيركم .. ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة الظاهرة .. من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته؟!.

فعاد المنذر يحرض قومه.

وبدرت منه عبارة تنذر بالشر.. وتوقد نار حرب أهلية.

لقد قال: فإن أبوا عليكم هذا الأمر - أى السلطان - فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم الأمور.

فقال عمر: إذن ليقتلنك الله .

فقال المنذر: بل إياك يقتل .

فتدخل أبو عبيدة قائلا: يا معشر الأنصار .. إنكم أول من نصر، فلا تكونوا أول من بدل وغيَّر.

فنهض بشير بن سعد، فنصح قومه الأنصار قائلا:

- ألا إن محمدا من قريش وقومه أولى به وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله ولا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة، فإن شئتم فبايعوا أحدهما.

فقال عمر: أنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله ﷺ فى الصلاة وهى دين المسلمين.. أبسط يدك أبايعك.

وبايعه وتهافت القوم على مبايعته.

رشح النبى ﷺ أبا بكر للخلافة، عن طريق اختياره للصلاة بالمسلمين فى مرض موته، وزكى هذا الترشيح عمر. وكان يقظا فى المبادرة إلى جمع الأنصار والمهاجرين حول راية الخليفة، قويا جريئا فى مواجهة الفتنة.. ذكيا أريبا فى إفساد التدابير المعاكسة وإدحاض حجة المخالفين، زاهدا فى السلطان بتقديم أبى بكر ، فبايعه أول من بايع فتتابع المسلمون وراءه يبايعون بقوة الإيحاء وفعل المحاكاة وسحر القدرة.. ولم يشذ فى كل ذلك من مبدأ الشورى، واتسع صدره للرأى المعارض ولم يضق ذرعا بالتهديد والوعيد والتلويح بشق عصا الطاعة ومخالفة الجماعة.

ورشح أبو بكر عمر فى الخلافة من بعده حين حضرته الوفاة فبرزت شخصية عمر العظيمة... واجتمع الرأى على مبايعته.

وفى الحق.. لقد كان عمر بالنسبة لأبى بكر هو الساعد الأيمن.

لم يكن عمر مستشار الخليفة فحسب.. بل كان له كما كان هارون لموسى.. اختاره الصديق رضى الله عنه لهذه الوظيفة الرفيعة من البداية... فقد مشى أبو بكر فى ركاب أسامة بن زيد قائد الجيش الذى كان جهزه النبى ﷺ لغزو الشام وأبى الخليفة إلا أن يزحف غير مكثرت لانتفاض العرب عليه.. فلما سار غير بعيد خطبهم ناصحا وموصيا .. ثم التفت إلى أسامة فقال:

- «إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل».

فأذن له أسامة.. وبقى عمر إلى جانبه يدير معه شئون الدولة الإسلامية التى شرعت تغزو الفرس والروم بعد حروب الردة.

ولما نزل الموت بأبى بكر دعا عبد الرحمن بن عوف فقال:

- أخبرنى عن عمر .

- إنه أفضل من رأيته، إلا أن فيه غلظة.

- ذلك لأنه يرانى رقيقا.. ولو أفضى إليه الأمر لترك كثيرا مما هو عليه...

ودعا عثمان بن عفان، فقال:

- أخبرنى عن عمر، قال:

- سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله.

وأملى أبو بكر على عثمان عهده إلى المسلمين بمبايعة عمر .. وأمر به أن يقرأ على الناس، وأشرف أبو بكر على الناس، وقال:

- «أترضون بمن أستخلف عليكم، فإنى ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإنى قد استخلفت عليكم عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى».

فقالوا: سمعنا وأطعنا.

ولعل لشخصية عمر أكبر الأثر فى تأمين القوم على اختيار الصديق له أميرا على المؤمنين.

رشح النبى ﷺ أبا بكر، وزكاه عمر، ورشح أبو بكرِ عمر، وزكته شخصيته وسيرته قبل أن يزكيه عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، ولم يفرض أبو بكر، ولا فرض عمر، على جمهور المسلمين، بل فوض أمر اختيارهما إلى زعمائهما، فأدلى كل زعيم برأيه، فأذعن البعض، وركب البعض رؤوسهم، ثم انجلت السحب عن صفاء غشى الجو وغمر القلوب.

فمن ذا الذى رشحه عمر وهو جريح على باب الآخرة ؟؟

لقد تغيرت الحال عما كانت عليه فى عهد النبى ﷺ وعهد أبى بكر.. فقد اتسعت رقعة الأرض التى عليها الخليفة وتعقدت الإدارة.. وتعددت الشعوب الخاضعة للسلطان وتشعبت مصالحهم، وتضاعفت مرافق الدولة، وانفتح أمام زعماء العرب وأهل العصبية فيهم ميدان التنافس على الإمارة والجاه والمصلحة الذاتية... وأمام هذا الانقلاب، لم يجد عمر رجلا يذعن الجميع لطاعته إذا رشحه.

قيل لعمر لما طعن: «لو استخلفت»؟

فقال: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته.. وقلت لربى إن سألنى:

- سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة .. ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته .. وقلت لربى إن سألنى: سمعت نبيك يقول: إن سالمًا شديد الحب لله تعالى.

وأسند عمر، مرة، إلى رجل من قريش منصبا فى الدولة، ثم بلغه أنه قال قصيدة منهلة:

اسقنى شربة ألذ لها ... واسق بالله مثلها ابن هشام

فاعتقد أن الرجل يشرب الخمر، فأمر بعزله من منصبه، واستقدمه إليه، فلما مثل بين يديه قال له: ألست قائل ذلك البيت؟ فأجاب الرجل: نعم، يا أمير المؤمنين، وقد قلت بعده:

عسلاً باردًا بماء سحاب ... إننى لا أحب شرب المدام

فلم يجد عمر وجها ثابتا لاتهام الرجل فأعاده إلى عمله.



فتوحات عمر

فتح عمر الشام كله، والجزيرة، والموصل، ومصر، والإسكندرية.

ومات وعساكره على بلاد الرى.. وفتح من الشام: اليرموك وبصرى ودمشق، والأردن، وطبرية، والجابية وفلسطين، والرملة، وعسقلان، وغزة والسواحل والقدس.

وكذلك فتح مصر والإسكندرية، وطرابلس الغرب، وبرقة.

ومن مدن الشام: بعلبك وحمص، وقنسرين، وحلب وانطاكية...

وفتح الجزيرة، وحران، والرها، والرقة، ونصيبين ورأس عين، وشمشاط، وبلاد الموصل، وأرمينية جميعها.

وبالعراق .. فتح القادسية، والحيرة، ونهر سيروساباط ومدائن كسرى.. وركوة الفرات.. ودجلة والربلة والبصرة، والأهواز وفارس، ونهاوند، وهذان، والرى، وقومى، وخراسان واضطخر، وأجهان، والسوسى، ومرد ونيسابور، وجرجان، وأذربيجان .. وغير ذلك.

وصاحب كل هذه الفتوحات:

كان رجلا متواضعا فى الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديدا في ذات الله، يرقع الثوب، ويحمل القربة على كتفيه.

وصاحب كل هذه الفتوحات:

يركب الحمار عريا.. والبعير مخطوما بالليف. وكان قليل الضحك، لا يمازح أحدا.

وصاحب كل هذه الفتوحات:

كان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظا يا عمر.

قالوا عن عمر!!

اسمعوا.. ماذا يقول النبى ﷺ عن عمر.

قال النبى ﷺ: أشد أمتى فى دين الله عمر.

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال:

- إن لى وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض أبو بكر وعمر، وإنهما السمع والبصر.

عن عائشة أن النبى ﷺ قال:

- «إن الشيطان يفرق من عمر». وقال أيضا: «أرحم أمتى أبو بكر.. وأشدها فى دين الله عمر».

وماذا يقول عنه أنس، يقول أنس:

- كان بين كتف عمر أربع رقاع، وإزاره مرفوع بأدم، وخطب على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة.

وأنفق فى حجته خمسة عشر دينارا، وقال لابنه:

- قد أسرفنا.

وكان لا يستظل بشىء، غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته، وليس له خيمة ولا فسطاط.

ولما قدم الشام لفتح القدس كان على جمل أورق، والجمل الأورق هو الذى فى لونه بياض إلى سواد، وهو من أطيب الإبل لحما - لا سيرا وعملا - وكان على هذا الجمل الأورق تلوح صلعته للشمس - ليس عليه قلنسوة ولا عمامة وقد طبق رجليه بين شعبى الرحل بلا ركاب، ووطاؤه كيس من صوف، وهو فراشه إذا نزل، وحقيبته محشوة ليفا، وهى وسادته إذا نام.. وعليه قميص من كرابيس.. والكرابيس ثوب من القطن

الأبيض.. وهذا القميص قد تخرق جيبه.. فلما نزل، قال: ادعوا لى راعى القرية، فدعوه. فقال: اغلسوا قميصى وخيطوه وأعيرونى قميصا، فأتى بقميص كتان، فقال: ما هذا؟؟ فقيل: كتان، فقال: فما الكتان؟؟.. فأخبروه. فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه، فقال له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل.

فأتى بفرس.. فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فلما سار جعل الفرس يهملج به، فقال لمن معه: اجلسوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملى، ثم نزل وركب الجمل.

ويقول أنس بن مالك: كنت مع عمر.. فدخل حائطا لحاجته - فسمعته يقول وبينى وبينه جدار الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ .. بخ .. بخ .. بخ.. والله لينتقمن الله من ابن الخطاب أو ليعذبنه.

ويستمر أنس فى القول عن الفاروق عمر، فيقول:

- إنه حمل قربة على عاتقه، فقيل له فى ذلك، فقال:

- إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها.

وكان يصلى بالناس العشاء، ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر.

ويقول أنس:

- كان فى عام الرمادة لايأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويقول:

- بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع.

وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء.

وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه، فيحمل صريعا إلى منزله، فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف.

ويحكى طليحة بن عبد الله هذه الواقعة عن عمر.

خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتا، فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدنى فى مدة كذا وكذا، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى.. فقلت لنفسى: ثكلتك أمك يا طليحة !! أعثرات عمر تتبع؟

ويقول أسلم مولى عمر .. عن عمر:

- خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة.. فلاح لنا بيت فقصدناه، فإذا فيه امرأة تمخض وتبكى، فسألها عمر عن حالها.. فقالت:

- أنا امرأة عربية وليس عندى شىء.

فبكى عمر.. وعاد مهرولا إلى بيته.. فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب:

- هل لك فى أجر ساقه الله إليك؟؟

وأخبرها الخبر، فقالت: نعم.

فحمل على ظهره دقيقا وشحما، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها.

وهو لا يعرفه، يتحدث ... فوضعت المرأة غلاما.

فقالت أم كلثوم:

- يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام .

فلما سمع الرجل قولها: استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر.

فقال عمر: لا بأس عليك.

ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف.

حقا يا عمر .. إنك رجل بملايين الرجال .

ويحكى أسلم مولى عمر، عن عمر:

قدم المدينة رفقة من التجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف، هل لك أن تحرسهم الليلة؟ قال: نعم!! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسنى إلى حبيسك، ثم عاد إلى مكانه.. فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك. ثم عاد إلى مكانه.. فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى إلى أمه، فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟

فقالت: يا عبد الله، إنى أشغله عن الطعام فيأبى ذلك.

قال: ولم؟

قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم.

قال: وكم عمر ابنك هذا؟

قالت: كذا وكذا شهر.

فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام.

فلما صلى الصبح وهو لا تستبين للناس قراءته من البكاء قال:

- بؤسا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين.

ثم أمر مناديه فنادى، لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام.. وكتب بذلك إلى الآفاق.

ويستمر أسلم فى القول عن عمر، قال أسلم:

- خرجت ليلة مع عمر إلى حرة ، حتى إذا كنا بصدار، إذا بنار، فقال: يا أسلم، ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر:

- السلام عليكم يا أصحاب الصفوة.

قالت: وعليك السلام.

قال: ادنوا.

قالت: ادن أو دع.

فدنا فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟!

قالت: من الجوع.

فقال: وأى شىء على النار؟

قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر.

فبكى عمر.. ورجع يهرول إلى دار الدقيق.. فأخرج غدلا (أى نصف حمل يكون على أحد جنبى البعير) من الدقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم!! احمله على ظهرى.. فقلت: أنا أحمله عنك، فقال: أأنت ستحمل وزرى يوم القيامة؟؟

فحملته على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة.

فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فرماه فى القدر.. وألقى عليه من الشحم وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار، وقال: ايتينى بصفحة، فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا... والمرأة تدعو له وهى لا تعرفه.. فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علىّ فقال:

- يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم.

ويقول أسلم:

- إن على بن أبى طالب رضى الله عنه رأى عمر، وهو يعدو إلى ظاهر المدينة، فقال له: إلى أين يا أمير المؤمنين؟

فقال: فقد بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه، فقال: لقد أتعبت الخلفاء من بعدك.

ويقول أسلم:

إنه رأى جارية تتمايل من الجوع، فقال: من هذه؟؟

فقالت ابنه عبد الله: .. ابنتى!!

فقال: فما بالها ؟؟

فقالت: إنك تحبس عنا ما فى يدك فيصيبنا ما ترى .

فقال: يا عبد الله، بينى وبينكم كتاب الله، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم، أتريدون منى أن أعطيكم ما ليس لكم فأُعَدّ خائنا؟؟

★ ★ ★

ما روى عن عمر بن الخطاب

روى عنه فى كلمات تقال بعد الوضوء

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

- ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء». (رواه مسلم وأبوداود وابن ماجة) .

وروى عنه إجابة المؤذن وبماذا يجيبه وما يقول بعد الأذان

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم، الله

أكبر الله أكبر. ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله.. قال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله. قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. ثم قال: حى على الصلاة. قال: لاحول ولاقوة إلا بالله. ثم قال: حى على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر . قال: الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » (رواه مسلم وأبوداود والنسائى) .

وروى عنه فى بناء المساجد

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجدا يذكر فيه بنى الله له بيتا فى الجنة» (رواه ابن ماجة وابن حبان فى صحيحه) .

روى عنه فى خطبة الجمعة

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب الناس يوم الجمعة فقال فى خطبته:

- ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين، البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع فمن أكلهما فليمتهما طبخا. (رواه مسلم والنسائى وابن ماجة) .

روى عنه فى المحافظة على الصلوات

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال:

- يا محمد، أخبرنى عن الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» صدق رسول الله ﷺ .

(الحديث رواه البخارى ومسلم وهو مروى عن غير واحد من الصحابة)

وروى عنه فى صلاة الجماعة

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول :

- «من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة ولاتفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار» (رواه ابن ماجة) .

وروى عنه فى صلاة الجمع

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى ليعجب من الصلاة فى الجمع» (رواه أحمد بإسناد حسن) .

وكذلك روى عنه فى صلاة الصبح

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ: بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة، فقال رجل منا:

- لم يخرج فيما رأينا بعث أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث فقال النبى ﷺ: «ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة: قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس أولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة».

(رواه الترمذى فى الدعوات من جماعة ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه.. وذكر البزار فيه أن القائل هو أبو بكر رضى الله عنه وقال فى آخره. فقال النبى ﷺ: يا أبا بكر ألا أدلك على ما هو أسرع إيابا وأفضل مغنما من صلى الغداة فى جماعة ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس) .

وروى عنه فى قضاء الإنسان ورده إذا فاته من الليل

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه قال :

قال رسول الله ﷺ : «من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل». (رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة).

وروى عنه فى الصيام

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- قال رسول الله ﷺ : «ذاكر الله فى رمضان مغفور له وسائل الله فيه لايخيب»

(رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى والأصبهانى)

وروى عنه فى إخلاص النية

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية، وفى رواية: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

(رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى)

وروى عن الشهداء

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا - ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته فلا أدرى قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبى ﷺ - قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو فى الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة. ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الرابعة». (رواه الترمذى والبيهقى) .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- قال رسول الله ﷺ: «من قرأ فى ليلة: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾ (الكهف: ١١٠) فإن له نورا فى الجنة». (رواه البزار) .

وروى له في دخول السوق:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

- قال رسول الله ﷺ: «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة».

(رواه الترمذى)

وعن عمر قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون». (رواه ابن ماجة)

وعن هيثم بن رافع عن أبى يحيى المكى عن فروخ مولى عثمان بن عفان، أن طعاما ألقى على باب المسجد، فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: طعام جلب إلينا أو علينا، فقال: بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا أو علينا.

فقال له بعض الذين معه: يا أمير المؤمنين قد احتكره، قال: ومن احتكره.

قالوا: احتكره فروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب، فأرسل إليهما فأتياه فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين. قالوا: يا أمير المؤمنين، نشترى بأموالنا ونبيع، فقال عمر رضى الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

- «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس».

فقال عند ذلك فروخ: يا أمير المؤمنين فإنى أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود فى احتكار طعام أبدا، فتحول إلى مصر مفلسًا.

وأما مولى عمر فقال: نشترى بأموالنا ونبيع، فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا. (رواه الأصبهانى)

وروى عن عمر فى لبس الحرير والذهب

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- قال رسول الله ﷺ : «لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» (رواه البخارى)

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له»

(رواه البخارى ومسلم)

وزاد البخارى وابن ماجة والنسائى فى رواية: «من لا خلاق له فى الآخرة»

روى عن البناء فوق الحاجة تفاخرا وتكاثرا

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه وقال:

- يا محمد .. أخبرنى عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا».

قال: صدقت.

فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرنى عن الإيمان.

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: صدقت.

قال: فأخبرنى عن الإحسان.

قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: أخبرنى عن الساعة .

قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

قال: فأخبرنى عن أماراتها.

قال: «أن تلد الأمة ربتها.. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشياه يتطاولون فى البنيان»، ثم انطلق فلبث مليًا، ثم قال:

- يا عمر، أتدرى من السائل؟؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». (رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

وروى عن ... الشيب

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة».

(رواه ابن حبان فى صحيحه)

وروى عن: أفضل الناس ... وشر الناس

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

- «أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق، وشر عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خرق». (الخرق: الجهل والحمق) (رواه الطبرانى فى الأوسط)

وروى .. عن أفضل الأعمال:

روى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا:

- «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كمن عدته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجة». (رواه الطبرانى)

وروى عن .. التواضع

روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر:

– أيها الناس تواضعوا، فإننى سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تواضع لله رفعه الله، وقال: انتعش نعشك الله، فهو فى أعين الناس عظيم وفى نفسه صغير، ومن تكبر قصمه الله، وقال: اخسأ فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير». (رواه أحمد والبزار)

وروى عن .. السلف

دخل عمر على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثر فى جنبه، فقال عمر:

– يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا.

فقال: مالى وللدنيا، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سافر فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها. (رواه أحمد وابن حبان)

وقال ابن عباس عن عمر

قال: حدثنى عمر بن الخطاب قال:

– دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير، قال: فجلست، فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه وإذا إناء بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ فى ناحية الغرفة. وإذا أهاب معلق فابتدرت عيناى، فقال:

– ما يبكيك يا ابن الخطاب؟

فقال: يا نبى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار.. وأنت نبى الله وصفوته.. وهذه خزانتك.

قال ﷺ: «يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا» .

(رواه ابن ماجة بإسناد صحيح)

وروى عن دعاء المريض

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

- قال رسول الله ﷺ : «إذا دخلت على مريض فمره أن يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة». (رواه ابن ماجة)

وروى عن ... النار

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

- جاء جبريل إلى النبى ﷺ فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال: يا جبريل مالى أراك متغير اللون، فقال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار، فقال رسول الله ﷺ :

- يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم.

فقال جبريل :

- إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة لايضىء شررها ولايطفأ لهيبها. والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حره، والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا لمات من فى الأرض كلها من قبح وجهه ومن نتن ريحه، والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تفارت حتى تنتهى إلى الأرض السفلى.

فقال رسول الله ﷺ :

- حسبى يا جبريل لايتصدع قلبى فأموت، قال:

- فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكى فقال: تبكى يا جبريل، وأنت من

الله بالمكان الذى أنت به، فقال: ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أُبتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أُبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت، قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل عليه السلام فما زالا يبكيان حتى نوديا: أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل قد أمنكما أن تحصياه فارتفع جبريل عليه السلام وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال:

- أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله.

(رواه الطبرانى فى الأوسط)

وروى أيضا

روى عن عمر أيضا أنه قال:

- إن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى ﷺ حزينا لايرفع رأسه فقال له رسول الله ﷺ :

- مالى أراك يا جبريل حزينا.

قال: إنى رأيت نفحة من جهنم فلم ترجع إلىّ روحى بعد.

(رواه الطبرانى فى الأوسط)



عمر ... يخطب على المنبر

أخرج ابن عساكر عن أبى البخترى قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين بن على رضى الله عنه فقال:

- انزل عن منبر أبى .

فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبى، من أمرك بهذا ؟

فقام على فقال: والله ما أمره بهذا أحد، أما لأوجعنك يا حسين.

فقال: لا توجع ابن أخى، فقد صدق، منبر أبيه. (إسناده صحيح)

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال:

أول خطبة خطبها عمر، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- أما بعد، فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، وخلفت فيكم بعد صاحبى، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومن غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، ومن يحسن نزده حسنا، ومن يسىء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم.

وأخرج الدينورى عن الشعبى قال: لما ولى عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال:

- ما كان الله ليرانى أن أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر فنزل مرقاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- أقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع فى معصية الله ، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

أخرج أحمد وابن سعد ومسدد وابن خزيمة والحاكم والبيهقى وغيرهم عن أبى فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال:

- يا أيها الناس إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبى ﷺ قد انطلق وانقطع الوحى إنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحييناه عليه، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم. ألا إنه قد أتى على حين وأنا أحب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل لى بآخره أن رجالا قد قرأوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءته وأريدوه بأعمالكم ألا وإنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم (أى: ظاهر جلودكم) ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ فوالذى نفسى بيده لأقصنّه منه (أى: انتقم له منه) ألا ولا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم (أى: لا تجمعوهم في الثغور وتحبسوهم عن العَوْدِ إلى أهلهم) فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض (جمع غيضة: وهى الشجر الملتف) - فتضيعوهم.

وعن صداق النساء ... يقول على المنبر:

أخرج عبد الرزاق والطيالسى وأحمد والدارمى والترمذى وصححه وأبوداود، والنسائى وابن ماجة وغيرهم عن أبى العجفا، قال: خطب عمر فقال:

- ألا لا تغلوا فى صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبى ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية.

وعند سعيد بن منصور .. وأبى يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبرَ ثمَ قرأ:

- أيها الناس! ما إكثاركم فى صداق النساء، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصداق فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار فى ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها.

★ ★ ★

يعلن على المنبر أنه أقل من أبى بكر

ذكر ابن قتيبة فى عيون الأخبار أن عمر لما ولى الخلافة صعد المنبر وقال:

- ما كان الله ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر.

ثم نزل عن مجلسه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- أقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم: إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، تقوم البهمة الأعرابية، القضم لا الخضم.

وعمر فى مستهل هذه الكلمة يعلن على الناس أنه أقل من أبى بكر فى المنزلة عند نفسه وفى اعتباره، ولذلك هبط مرقاة كان قد اعتلاها، وهى التى كان يخطب فوقها أبو بكر.. وعند ذلك حمد الله وأثنى عليه.. وبدأ حديثه إلى القلوب المؤمنة أن تتدبر كتاب الله قراءة وتلاوة وفهما، ثم عملا بما تدبرت وفهمت لتكون جموع المؤمنين جديرة بالانتساب إلى الإسلام، وبتلاوة كتاب الله.. ثم يقرر عمر مبدأ خطيرا من مبادىء الحكم فى الإسلام، قد سبق أن قرره أبو بكر عند توليه الخلافة وهو أنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. ولكن عمر يصوغ ذلك المبدأ فى جملة اسمية بدأها بالتوكيد وضمير الشأن.

فعمر بهذه الصيغة يبدو تشدده ودقته فى التمييز عما بنفسه وما يستهدف من المعنى الذى سبقه إليه أبو بكر وقرره ببساطة ووضوح، وبعد هذا يتوجه عمر إلى المسلمين متحدثا عن سياسته فى بيت المال باعتبار أن المال عصب الحياة وقوامها، فيقرر أنه جعل نفسه واليا عليه كمن يلى مال الأيتام. إن استغنى عف ولم يقربه، وإن ألجأته الحاجة أكل بالمعروف دون إسراف ولا طمع. وضرب عمر مثلا من البيئة العربية. فشبه نفسه ببهمة أعرابية فى مستهل حياتها تقضم الطعام ولا تعرف السبيل إلى الالتهام.

وهذا القول يبين نفسية عمر وموقفه من الغنائم والأموال التى كانت تصب فى بيت المال، كما يفسر لنا شدته التى أخذ بها الولاة عندما كان يشك فى أنهم أُثْروا بصورة غير معقولة، حتى اضطر أحيانا إلى مصادرة أموالهم وضمها إلى بيت مال المسلمين.

★ ★ ★

فى خطبة .. الرمادة

وفى السنة الثامنة عشرة للهجرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت ترابا كالرماد، فسمى ذلك العام، عام الرمادة.

فى عام الرمادة ألقى عمر خطبة سلك فى مقدمتها الطريقة الإسلامية التقليدية من حمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه.. وتوجه عمر بعد ذلك إلى الناس يطلب منهم استغفار ربهم، والتوبة إليه والرجوع إلى رحابه ليلطف بهم فيما جرت به المقادير وما جرته الرياح والأعاصير، من جفاف وجوع وشر مستطير.

وعمر يجعل وسيلته إلى الله العباس عم النبى وبقية آبائه وكبار رجاله، ويدعو الله أن يحفظ نبيه فى عمه، وأن يرعى أهل المدينة فى محنتهم، وأن يجبر كسر خاطرهم.. كما رعى اليتيمين اللذين ورد ذكرهما فى سورة الكهف لصلاح أبيهما:

- ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ...﴾.

وقد جاء فى هذه الخطبة (العقد الفريد ٢ - ١٣٢) وصف لما بلغته حال أهل المدينة من السوء.

اسمعوا ماذا يقول عمر فى خطبته البليغة:

- اللهم قد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم أغثهم بغياثك، قبل أن يقنطوا فيهلكوا، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

وواضح فى هذه الخطبة وحدة الموضوع وعدم تشعبه.

فجوهر الخطبة - كما رأينا - دعاء توجه به أهل الغبراء إلى رب السماء ليلطف بهم بما جرى به القضاء، ويغيثهم بماء، ينبت الزروع الخضراء ويبقى على النعم والشياه.

★ ★ ★

من أخبار عمر وقضاياه

أخرج ابن سعد عن شداد قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : اللهم إنى شديد فليّنّى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسخنى.

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال :

- مر على بن أبى طالب على المساجد فى رمضان وفيها القناديل التى أمر بها عمر... فقال : نور الله على عمر فى قبره كما نور علينا فى مساجدنا.

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق، عن عمر أنه قال :

- «إنى نزلت نفسى من مال الله منزلة، والى اليتيم من ماله: إن أيسرت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإن أيسرت قضيت».

أخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يوما حتى أتى المنبر وكان قد اشتكى شكوى، فوصف له العسل، وفى بيت المال جرة صغيرة من العسل، فقال : إن أذنتم لى فيها أخذتها، وإلا فهى حرام على، فأذنوا له.

أخرج عن سالم بن عبد الله أن عمر كان يدخل يده فى دبر البعير، ويقول : إنى لخائف أن أسأل عما بك.

أخرج عن ابن عمر قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شىء تقدم إلى أهله، فقال : لا أعلمن أحدا وقع فى شىء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة.

أخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب ببيت المال، فاستقرضه، فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه، فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه.

حكى أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة... وكان يفعل ذلك كثيرا - إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقا عليها بابها وهى تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه — وأرقنى أن لاضجيع ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه — لزحزح من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيبا موكلا — بأنفسنا، لايفتر الدهر كاتبه

مخافة ربى، والحياء يصدنى — وأكرم بعلى أن تنال مراتبه

فكتب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر.

★ ★ ★

عندما يسأل عمر.. أملك أنا أم خليفة؟؟

أخرج ابن سعد عن زازان عن سلمان أن عمر قال له:

- أملك أنا أم خليفة؟؟

فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل، أو أكثر، ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر.

وأخرج عن سفيان بن أبى العرجاء قال: قال عمر بن الخطاب:

- والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم.. فقال قائل:

- يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا، قال: ما هو؟ قال:

- الخليفة لايأخذ إلا حقا ولايضعه إلا فى حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا ويعطى هذا، فسكت عمر.

★ ★ ★

ماذا لو طرحنا هذه الأسئلة على عمر؟

نعم.. ماذا لو طرحنا على عمر بعض الأسئلة التى نحتاج إلى الإجابة عنها فى عصرنا الحاضر... فى شكل حوار إذاعى.

مثلا: لو طرحنا على عمر قضية **انتشار البطالة بين المتعلمين** .. ماذا تكون إجابته:

يقول عمر ردا على هذا السؤال:

- تعلموا المهنة، فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته.

ونقول له: إن من الشبان من يأبى إلا التمسك بالوظيفة الحكومية اعتمادا على الشهادة التى ينالها. ويجد من العيب أن يحترف بعض الحرف لأنها لاتتفق مع الرفاهية التى يحلم بها. وإنى أتصور أن رد عمر سيكون هذا.... سيرد فى لهجه الرجل العملى الحازم.. ويقول:

- مكسبة فيها بعض الدناءة ... خير من مسألة الناس.

وطرحت على عمر هذا السؤال الذى يشغل الجميع.

يقول السؤال:

- كثر فى بلادنا وسائر بلاد الشرق اليوم، قوم يحترفون الدين ولاعمل لهم سوى التظاهر بالتقوى والإيمان، والظهور بمظهر الخشوع، ومطالبة الناس باعتبارهم أولياء الله فى الأرض.

عندما سمع عمر هذا السؤال الذى تصورته ... اعتدل فى جلسته وهز سيفه وهو يقول:

- إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته - فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء .. الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون عفوه بالطاعة.

وسكت رضى الله عنه لحظة ... ثم قال:

- لاتنظروا إلى صيام امرئ ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وإلى ورعه وإلى أمانته.

ولما استزدته الجواب استطرد قائلا:

- إن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر خشوعا فوق ما فى القلب، فإنما أظهر للناس نفاقا على نفاق.

وطرحت هذا السؤال الذى يقول:

- البعض ينكر القعود عن الرزق بدعوى الاشتغال بالتقوى والعبادة ماذا يقول الفاروق فى هذا البعض.

يقول عمر: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

وأردت أن أنقل الحديث إلى ميدان الحياة السياسية الصاخب، فقلت:

- لقد كثر بيننا الخصام السياسى يا أمير المؤمنين، وأخذنا نشهد الرجل وهو يعلن عقيدة ويعمل فى الخفاء بما لا يتفق مع المعلن.

يقول عمر:

- ما أخاف عليكم أحد رجلين: مؤمن قد تبين إيمانه، وكافر قد تبين كفره، وإنما أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره.

ونعود إلى الأسئلة الاجتماعية ونقول لأمير المؤمنين :

- إن مصر، يا أمير المؤمنين، تعانى أزمة اجتماعية خطيرة تكاد تجل عن العلاج... وهى أزمة الزواج إلا أن غلاء المهور من أهم أسباب هذه الأزمة.. فما قول أمير المؤمنين فى ذلك؟؟

فقال رضى الله عنه:

- لا تغالوا بصداق النساء، فلو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ .. ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتى عشرة أوقية.

وكدت أطمئن إلى هذا الجواب، لولا صوت امرأة من نسائه يرتفع من وراء الحجاب فيقول:

- يا أمير المؤمنين، لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾

فابتسم عمر وقال:

- كل أحد أعلم من عمر.

ثم التفت إلى أصحابه قائلا:

- تسمعوننى أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء.

فانتقلت بالحوار الإذاعى إلى سؤال آخر، وقلت:

- ندع حديث النساء يا أمير المؤمنين، ونتحدث عن الرجال، فماذا ترى فى شبان اليوم الذين لا يكادون يبلغون من العلم القشور حتى تستولى عليهم الكبرياء، ويأخذهم الغرور والصلف حتى على معلميهم.

فقال:

- تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم. وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

وكأنما أتى من أمير المؤمنين ميل إلى الاستزادة فى الجواب فقال:

- لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث: لا تتعلمه لتمارى به، ولتتباهى به، ولترائى به، ولا تتركه حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل به.

وفى النهاية قدمت شكرى وتقديرى لأمير المؤمنين.

وقبل أن ننهى هذا الحديث الإذاعى، نود القول أن كل ما جاء فى هذا الحديث على لسان أمير المؤمنين صحيح.. أخذ من خطبه وخطاباته ومأثور نوادره.

★ ★ ★

عمريــــات

كان عمر بن الخطاب هو أول من فرض للمجذومين شيئا من بيت المال ومنعهم بذلك عن الاختلاط بالناس فكفاهم أمر حياتهم وكفى الناس أمر العدوى والضرر.

وهذا يدل على أن عمر قد أسس أحدث نظم الصحة العالمية وهو نظام المستعمرات للمجذومين.. مما هو متبع فى أرقى البلاد التى لازال فيها هذا المرض منتشرا.

كتب إليه أبو عبيدة أن ضرارا، وأبا جندل، وعمرو بن معدى كرب وغيرهم، شربوا الخمر، وأنهم أجابوا حين سألهم: خير فاغترفنا، قال: فهل أنتم منتهون.. ولم يعزم.

فكتب إليه عمر: ادعهم على رؤوس الناس وسلهم هذا السؤال لا تزد عليه ولا تنقص منه: حلال الخمر أم حرام؟

قال: فإن قالوا: حرام فاجلدهم، وإن قالوا: حلال فاضرب أعناقهم.

فسألهم أبو عبيدة، وكانوا أحسوا بالشر فقالوا: بلى حرام، فجلدهم وندموا على لجاجتهم ثم تابوا.

وعن الشعر والإنشاد

روى صاحب العقد الفريد أن عمر بن الخطاب قال للنابغة الجعدى:

- أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك، فأسمعه كله له، قال:

- وإنك لقائلها، قال: نعم، قال:

- لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب.

والغناء عند عمر كان صنفين:

صنفا يعفو الله عنه «وصنفا» لا يعفو الله عنه.

وهو تعبير دقيق يدل بأجلى بيان على أدب عمر، وجمال ذوقه ورهافة حسه.. وما من ريب فى أن كثيرا من الأغانى التى تداولتها العصور المختلفة تدخل فيها «لايعفو الله عنه» لأنها أبعد ما يكون عن الحمية، والفضيلة، والنجدة، وتشجيع الخلق الكامل، وتزويد الشعوب بأرقى صفات الرجولة والعفاف.

وهذا يدل على أن عمر.. هذا الرجل القوى الشديد لم يكن ليكره الموسيقى إطلاقا.. إنما كان يكره منها المخنث الذى يبعد الشعب عن الجهاد والتخشن، ويسلمه إلى التواكل، وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ولا من خلق عمر.

يقول ابن الفقيه الهمذانى: إن عمر سمع مرة قيانا يضربن بالدفوف ويتغنين بما «لايعفو الله عنه» فكان نصيبهن منه قسوة التأنيب والقرع بالعصا.

ولقد غالى بعض ذوى الآراء فنسب إلى عمر أنه لحن أغنية ولكننا نرى المغالاة فى هذا الرأى بينة، بل ويترجح الشك فيها، وأكبر الظن أن يكون الأمر قد اختلط على أصحاب هذه القولة بين عمر الأول وهو ابن الخطاب، وعمر الثانى وهو ابن عبد العزيز، نظرا لما عرف عن هذا من ميله للغناء والشعر، وإن كنا نستبعد عليه أيضا صفة التلحين.

تحدث ابن أبى ذئيب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن إياس الهذلى قال:

- كنا نقوم فى عهد عمر بن الخطاب فرقًا فى المسجد فى رمضان، ههنا وههنا، فكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتا.

فقال عمر: أما والله لئن استطعت لأغيرن هذا.

قال: فلم يمكث إلا ثلاث ليال حتى أمر أبى بن كعب فصلى بهم ثم قام فى آخر الصفوف فقال:

- لئن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة.

★ ★ ★

وماذا فى أقوال الصحابة والسلف فى عمر؟

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: «ما على ظهر الأرض رجل أحب إلى من عمر».

(أخرجه ابن عساكر)

وقيل لأبى بكر فى مرضه: ماذا تقول لربك وقد وليت عمر؟؟

قال: «أقول له وليت عليهم خيرهم». (أخرجه ابن سعد)

وقال على رضى الله عنه: «إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر». (أخرجه الطبرانى فى الأوسط)

وقال ابن عمر رضى الله عنه: «ما رأيت أحدا قط بعد النبى ﷺ من حين قبض أحدّ ولا أجود من عمر». (أخرجه ابن سعد)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «لو كان أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم». (أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم)

وقال حذيفة رضى الله عنه: «كأن علم الناس كان مدسوسا فى حجر عمر»

وقال أيضا: والله لا أعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر.

وقالت عائشة رضى الله عنها: - وذكرت عمر - كان والله أحوذيا يسيح وحده.

وقال ابن مسعود: إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا فى دين الله تعالى.

وقال معاوية رضى الله عنه: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن.

(أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات)

سئل ابن عباس عن عمر قال: كان كالطير الحذر الذى يرى أن له بكل طريق شركا يأخذه.

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال النبى ﷺ: «ما فى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يفر من عمر».

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال النبى ﷺ: «إن الله باهى بأهل عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة».

(وأخرج فى الكبير مثله من حديث ابن عباس رضى الله عنهما)

وأخرج الطبرانى عن سديسة قالت:

- قال النبى ﷺ: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خرّ لوجهه».

وأخرج الطبرانى عن أبى بن كعب قال: قال النبى ﷺ. قال لى جبريل: ليبك الإسلام على موت عمر.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال:

قال النبى عليه الصلاة والسلام: «من أبغض عمر فقد أبغضنى، ومن أحب عمر فقد أحبنى، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان فى أمته محدث، وإن يكن فى أمتى منهم أحد منهم فهو عمر.

قالوا: يا نبى الله، كيف محدث؟

قال: تتكلم الملائكة على لسانه. (إسناده حسن)

هذا بعض ما قاله نبى الله عن عمر.

ألستم معى أنه لو كان فى الدنيا رجل قيل عنه جزء من هذا الذى قاله رسول الله ﷺ لاقتحم أسوار نفسه الغرور؟

ولكن .. إنه عمر .

عمر ، سراج أهل الجنة .

عمر ، أول من يصافحه الحق .

عمر ، الذى بكى الإسلام على موته .

أخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال :

- قال النبى ﷺ: «لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب».

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت:

قال النبى ﷺ : «إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر».

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبى بن كعب قال :

- قال النبى ﷺ : «أول ما يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة».

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبى ذر قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وأخرج ابن منيع فى مسنده عن على رضى الله عنه قال : «كنا أصحاب محمد لانشك أن السكينة تنطق على لسان عمر».

وأخرج البزار عن ابن عمر قال :

- قال النبى ﷺ : «عمر سراج أهل الجنة».

وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون، عن عمه عثمان بن مظعون قال :

قال النبى ﷺ : «هذا غلق الفتن، وأشار بيده إلى عمر، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم».

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

جاء جبريل إلى النبى عليه الصلاة والسلام، فقال : أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عزف، ورضاه حكم.

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «إن الشيطان يفرق من عمر».

وأخرج أحمد والديلمى عن الفضل بن العباس قال:

- قال النبى ﷺ: «الحق بعدى مع عمر حيث كان».

ومن ينابيع حكمته، قال مادحا العباد العارفين المخلصين، الذين استقامت بهم طريقتهم، فوصلوا إلى دار السلام بسلام.. إنه يقول لهؤلاء:

- إن لله عبادا يميتون الباطل بهجره، ويحيون الحق بذكره، رغبوا فرغبوا، ورهبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاتبوا، فخلصوا بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدين. (حلية الأولياء)

لو كان فى الدنيا رجلٌ لابد للغرور أن يقتحم أسوار نفسه لكان عمر !!

العجيب فيه - رضى الله عنه - أنه كان على درجة من التواضع لا يطمع بالوصول إليها، وليس شىء يميز الطبائع السوية المستقيمة أعظم من نأيها عن الغرور.

ولو كان فى الدنيا رجل لابد للغرور أن يقتحم أسوار نفسه المنيعة لكان عمر، لكثرة مزاياه، وتفوق خصائصه، وروعة أمجاده، وتزاحم انتصاراته، وكثرة فتوحاته المظفرة.

وهناك العديد من الأحاديث الواردة فى فضله... لو دققنا فى حديث واحد منها لعرفنا كم كان تواضع هذا الرجل الذى دخل الإسلام بقوة، وجهد به كالشمس لا يعبأ بظلام الشرك واستعلن به ونعته النبى بالفاروق، وهاجر جهارا نهارا، وخاض تحت لواء النبى ﷺ المعارك، وحضر المشاهد وتنزل الوحى بتأييد آرائه فى غير ما موضع.

ومن هذه الأحاديث:

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال:

قال النبى ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر» !! (ناس محدثون أى: ناس ملهمون).

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال:

- «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

قال ابن عمر: وما نزل بالناس أمر قط، فقالوا وقال: إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر.



ومن أوليات الفاروق!!

- هو أول من اتخذ بيت المال.
- وأول من كتب التاريخ من الهجرة.
- وأول من سن قيام شهر رمضان.
- وأول من عسّ بالليل.
- وأول من عاقب على الهجاء.
- وأول من ضرب فى الخمر ثمانين.
- وأول من حرم المتعة.
- وأول من نهى عن جميع أمهات الأولاد.
- وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز.
- وأول من اتخذ الدرة.
- وأول من قال: أطال الله بقاءك. (قالها لعلى).
- وأول من قال: أيدك الله (قالها لعلى).
- وأول من استقضى القضاة فى الأمصار.
- وأول من مصر الأمصار.
- وأول من سمى أمير المؤمنين.
- وأول من اتخذ دار الرقيق يعين به المنقطع.

- وأول من وسع المسجد النبوى وفرشه بالحصاة.
- وأول من ضرب النقود فى الإسلام.
- وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل.
- وأول من أقام واليا للحسبة.
- وأول من شق الترع وأقام الجسور.
- وأول من فتح الفتوح ومسح أسواد.
- وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر إيلة (البحر الأحمر) إلى المدينة.
- وأول من احتبس صدقة فى الإسلام.
- وأول من أعال الفرائض.
- وأول من أخذ زكاة الخيل.



من أوليات الفاروق:

من النظم الطريفة التى وضعها الفاروق ودلت على نصاعة تفكيره ورجاحة عقله أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم فإذا ترعرع بلغ به ٢٠٠ درهم وكان لايفرض لمولود شيئا حتى يفطم إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهى تكره وليدها على الفطام ويبكى، فسألها عنه، فقالت:

- إن عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم، فأنا أكرهه على الفطام كى يفرض له.

فقال: يا ويل عمر، كم ارتكب من وزر وهو لا يعلم، ثم أمر مناديه فنادى:

- ألا تعجلوا أولادكم بالفطام، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق.

وكذلك كان فرض للقيط ١٠٠ درهم، ورزقا يأخذه وليه كل شهر ويزيده من سنة إلى سنة، وكان يوصى باللقطاء خيرا ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال.



ولابد للبداية من نهاية

لما فرغ عمر من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح، دعا الله عز وجل، وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير.. وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن الله عليه بالشهادة فى بلد النبى ﷺ ، كما ثبت عنه فى الصحيح أنه كان يقول:

- اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتا فى بلد رسولك.

فاستجاب الله له هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأجرين، الشهادة فى المدينة النبوية وهذا عزيز جدا.

ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة - فيروز - المجوسى الأصل، الرومى الدار، وهو قائم يصلى فى المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة، بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل ست ضربات، إحداهن تحت سرته، قطعت صفاق البطن - وصفاق البطن هو ما بين الجلد والمصران - وقيل هو ما حول السرة - فخر ما قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع فيروز بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله.

وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: لاحظ فى الإسلام لمن تركها ثم صلى فى الوقت.

ثم سأل عمن قتله من هو ؟

فقالوا له: هو أبو لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبة - فقال:

- الحمد لله الذى لم يجعل منيتى إلا على يدى رجل يدعى الإيمان، ولم يسجد لله سجدة.. ثم قال:

- قبحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفا.

وكان المغيرة قد ضرب عليه فى كل يوم درهمين - ثم سأل من عمر أن يزيد فى خراجه فإنه نجار نقاش حداد - فزاد فى خراجه إلى مائة كل شهر.. وقال له:

- لقد بلغنى أنك تحسن أن تعمل رحى تدور بالهواء؟!

فقال أبو لؤلؤة: أما والله لأعملن لك رحى يتحدث عنها الناس فى المشارق والمغارب، وكان هذا يوم الثلاثاء عشية، وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة. رحمة الله عليك يا عمر .. يا رجلاً بملايين الرجال.

★ ★ ★

وكانت الوصية

وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده فى ستة ممن توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم: عثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص.

ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى فيهم، لكونه من قبيلته، خشية أن يراعى فى الإمارة بسببه.

وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيرا على طبقاتهم ومراتبهم.

ومات رضى الله عنه بعد ثلاث، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين، بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ذلك.

وفى ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

★ ★ ★

واختلفوا فى مقدار سنه يوم مات:

قال ابن جرير عن ابن عمر قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وعن نافع قال: ست وخمسين سنة.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: كان عمره ثلاثا وخمسين سنة وأشهرا.

وروى عن عامر الشعبى: أنه توفى وله ثلاث وستون سنة.

وروى عن قتادة أنه قال: توفى عمر وهو ابن إحدى وستين سنة.

وروى عن ابن عمر والزهرى: توفى عمر وهو ابن خمس وستين سنة.

وروى عن ابن عباس: توفى عمر وهو ابن ست وستين.

وروى عن ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال: توفى وهو ابن ستين سنة.

قال الواقدى: وهذا أثبت الأقاويل عندنا.

وقال المدائنى: توفى عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة

وأثبت الأقاويل ما ذكره أسلم مولى عمر.



لماذا فعلت هذا يا لؤلؤة ؟؟

اختلف أصحاب السير والرواة فى تعويل مقتل عمر فقال بعضهم: إن هذه الفاجعة جاءت نتيجة حقد أحد الموالى عليه، وذكروه أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة صادف عمر فى السوق يوما وشكا إليه فداحة الخراج الذى فرضه سيده المغيرة عليه وتوسل به فى تخفيف هذا الخراج.. فسأله عمر عن مقدار خراجه فقال:

- درهمان كل يوم .

فسأله ما صناعته فقال: حداد ونجار ونقاش.

فانتهره عمر وصاح فى وجهه: ليس هذا الخراج بكثير على رجل يملك كل هذه الصناعات.. فذهب العبد يقول:

- ما لعدل عمر شمل جميع الناس إلاى؟؟

وأسرها الخبيث اللعين ضغينة ظلت تأكل قلبه حتى شفاها بجنايته الشنعاء.

ويؤيد الرواة هذا التعليل بذكرهم أن عمر قال لأبى لؤلؤة يوما:

- لقد بلغنى أنت تقول لو أردت أن أصنع رحى تدور بالريح لفعلت، فهل قلت ذلك حقا؟

فنظر إليه العبد نظرة غيظ وأجاب:

- نعم قلت ذلك ولو مد الله فى أجلى لأصنعن لك رحى يتحدث بها أهل الخافقين.

فلما انصرف أطرق عمر مفكرا وشيعه بنظرة قاتلة وقال:

- لقد توعدنى العبد.

★ ★ ★

أهى مؤامرة إذن ؟؟

ذهب غير أولئك من المؤرخين إلى أن مقتل عمر إنما وقع نتيجة لمؤامرة رهيبة دبرها الأعاجم المقيمون فى المدينة انتقاما من الخليفة الذى فتح بلادهم وأباد عرشهم وأذل ملوكهم.

ولو امتد به الأجل لمد سلطان المسلمين إلى أقصى المشرق، وأقصى المغرب، ولجعل من العالم كله مستعمرة إسلامية عزيزة الجانب رفيعة المقام.

وما دام العرب لم يكتبوا تاريخهم ولم يدونوا حوادثهم وقت وقوعها أو بعد وقوعها بقليل.. فليس يسع المؤرخ اليوم أن يؤكد أى التعليلين أصح وأصدق، بل ليس يسعه حيال تلك الروايات المختلفة إلا أن يوازن بينها ليأخذ بأقربها إلى العقل وأدناها إلى المنطق، مؤيدا استنتاجه بما اتفق عليه أكثر الرواة وبما تناهى إليه من شهادة المعاصرين.

ولقد ينبو عن تصور الذين درسوا سيرة عمر وعرفوا ما اتصف به من شدة البأس والمراس وما كان له من المكانة بين الناس والهيبة فى نظرهم، أن يجترئ عبد كأبى لؤلؤة على توعده أو أن يقدم على قتله بين جمهرة المسلمين لسبب تافه كذلك الذى يعلل به الرواة مقتل ابن الخطاب.

هل هى مؤامرة من الأعاجم ؟؟

يقول البعض إنها مؤامرة من الأعاجم على حياة عمر، انتقاما لعزتهم القومية، فقد يبدو أمرها عجيبا بعد أن انقضى على فتح البلاد الأعجمية سبع سنوات.

فلقائل أن يقول: ما لهؤلاء الأعاجم قد صبروا واستكانوا هذه الحقبة من الزمان؟

وما الذى أثار العزة القومية فى نفوسهم بعد تلك السنين الطوال؟

ولم لم يفتكوا بعمر إثر قدومهم المدينة، وقد كان عمر يتجول كل يوم فى أزقتها وأسواقها وحيدا أعزل وينام على قارعة الطريق فى ظل جدار المسجد بلا حراس ولا أجناد ويخرج إلى الصحراء منفردا ليستقبل رسل القواد وأمراء الجيوش؟

ولقد تكون لهذا الاعتراض وجاهته إذا صح أن أصحاب المؤامرة كانوا كلهم من الفرس. أو لو وقف سبب تآمرهم عند حد الثأر لكرامتهم الوطنية التى أهدرتها جيوش المسلمين.

أما وقد كان قوام هذه المؤامرة خليطا من الفرس يمثلهم الهرمزان الأعجمى، ومن المسيحيين يمثلهم جفينة النصرانى، ومن اليهود المتمسلمين يمثلهم كعب الأحبار، ومن المجوس يمثلهم فيروز أبولؤلؤة مولى المغيرة.

وأما وقد كان سبب المؤامرة خوف أولئك جميعا من أن تمتد فتوحات المسلمين بزعامة عمر وحسن تدبيره وإحكام خططه حتى تغمر كل البلاد وكل الأديان فلا يصبح للعالم حاكم ولادين سوى الإسلام، فإن الأمر يبدو عندئذ معقولا لاغرابة فيه.

ومن المعلوم أن الهرمزان كان من قواد الجيش الفارسى، وقد هزمه سعد بن أبى وقاص وأسره، وأنه لم يعتنق الإسلام إلا لينجو من القتل. وقد عاهد المسلمين على الولاء لدينهم وخليفتهم ثم نكث عهده غير مرة وانطلق يحرض مواطنيه ويثير دهاقينهم على المسلمين، فلما أخفقت جهوده وفشلت مساعيه عاد إلى الإسلام وهو يضمر له الحقد الدفين.

ومعلوم أيضا أن جفينة، نصرانى أتى به سعد ابن أبى وقاص من نجران ليعلم أهل المدينة القراءة والكتابة..... وقد ظل على نصرانيته ينظر إلى نجاح الإسلام وتقدم فتوحاته بعين الحقد والحسد، حتى إذا بدد المسلمون شمل جيوش الإمبراطور هرقليوس حامى النصرانية ثارت حفيظته وبيت للمنتصرين هذا الكيد العظيم.

ومعلوم كذلك أن كعب الأحبار يهودى، عالم داهية رأى راية الإسلام تخفق فوق ربوع اليهود وجيوشه تكتسح الأديان والبلدان، وأيقن أنه لاقوة على الأرض تثبت فى وجه ذلك السيل الجارف فأسلم... وعلى الأصح تظاهر بالإسلام وأندس بين المسلمين يفسد عقولهم وعقائدهم بما يلفقه من الأخبار والروايات التى ينسبها كذبا إلى التوراة.

وما من شك أن هذا الرجل هو مختلق كل الخزعبلات والأساطير والأحاديث التى شابت صفاء الدين الإسلامى شوهت عقائد المسلمين بعد أن أخذوها منه قضية مقبولة لما كانوا يعرفونه من علمه ويتوهمونه من صدقة وقوة إيمانه.

فهل يستغرب بعد ذلك أن يجد الهرمزان فى صاحبيه جفينة وكعب الأحبار حليفين قويين يحركهما نفس الدافع الذى يحركه إلى التخلص من عمر، وأن يجد الثلاثة فى المجوسى الموتور أبى لؤلؤة أداة صالحة لإنقاذ اليهودية والنصرانية والمجوسية من ذلك الخليفة الذى يتهدد أديانهم بالمحو من الوجود؟؟

★ ★ ★

عدد من المؤرخين يقولون:
إن عمر راح ضحية مؤامرة أعداء الإسلام

ذكر الطبرى أن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق شهد يوم مصرع عمر بأنه بينما كان فى طريقه إلى داره عشية الفاجعة، رأى الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة يتهامسون ويتناجون، فلما اقترب منهم اضطربوا وسقط من يد أحدهم خنجر ذو شعبتين ونصابه فى وسطه.

وهو نفس الخنجر الذى طعن به أبو لؤلؤة أمير المؤمنين.

ولقد تحقق عبد الله بن عمر من صحة هذه الرواية واقتنع بصدقها فحمل سيفه وانتقم لأبيه بقتل جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة، وأقسم ليقتلن كل من اشترك فى الجريمة بالإيعاز أو بالتدبير، فلما بلغ ذلك عمرو بن العاص ذهب إليه ليهدىء من ثورته وأخذ السيف من يده واقتاده إلى دار سعد بن أبى وقاص وحبسه فيها إلى أن سكنت غضبته.

وجاء فى كتاب «أسد الغابة» أن كعب الأحبار أنبأ عمر بما سيقع له قبل وقوعه بثلاثة أيام. !!!

إذ ذهب إليه وقال له:

- يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام.

فسأله عمر: وما يدريك؟؟

قال: أجد ذلك فى التوراة.

فلما كان اليوم الثانى ذهب إليه وقال له:

- يا أمير المؤمنين انقضى يوم وبقى يومان فاعهد.

ولما كان اليوم الثالث ذهب إليه أيضا وقال:

- لم يبق من حياتك يا أمير المومنين سوى يوم واحد وهو لك بليلته حتى مطلع الفجر.

ولكن عمر لم يشأ أن يصدق ذلك، أو لم يرد أن يحتاط له استخفافا وإيمانا منه أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له.

يقول البعض: إن هذه الرواية موضوعة لفقهاء اليهود بعد مقتل عمر ليعظموا من شأن كعب الأحبار فى نظر المسلمين، وإلا فلو أن كعب الأحبار أخطر الخليفة بما يقال إنه أخطره به لشدد عليه عمر فى السؤال ولأثار عجبه أن يرد ذكره فى التوراة.

على أن رواية «أسد الغابة» إذا صحت فهى تشعرنا بأن كعب الأحبار كان على علم بما يبيت لعمر، وإنما أراد أن يمهد طريق براءته من المؤامرة إذا فشلت بأن يقول:

- لقد حذرت عمر، ولو كنت شريكا بها ما حذرته.

★ ★ ★

وماذا عن الحوار الذى دار بين ابن عباس وعمر ؟؟

جاء فى «العقد الفريد» عن ابن عباس أنه قال:

- دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم، وعنده جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال له رجل:

- لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر:

- لئن لم يكن على اليوم بأس ليكونن على بعد اليوم، وإن للحياة لمنصبا من القلب وإن للموت لكربة.. وما كنت منكم ومن أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى أن يموت دونها فهو يركض إليها بيديه ورجليه، ولقد تركت زهرتكم كما هى ما لبستها فاخلقتها، وثمرتكم يانعة فى أكمامها ما أكلتها، وما جنيت الذى جنيت إلا لكم وما تركت ورائى مالا عدا ثلاثين أو أربعين درهما.

يقول ابن عباس: ثم بكى وبكى الناس معه ... فقلت له:

- طب نفسا وأبشر يا أمير المؤمنين فو الله لقد مات رسول الله وهو عنك راض، ومات أبو بكر وهو عنك راض، وإن المسلمين عنك لراضون.

فقال: المغرور والله من غررتموه وإنى لأعرف ما لنفسى وما عليها وما حسابى إلا عند الله.

ويشفق عمر على المسلمين من نزوات نفوس الذين يخلفونه فيستدعى عليا، وعثمان، والزبير، وسعدا، وطلحة، ويقول لهم:

- اقضوا فى أحدكم واختاروا واحدا منكم .. ثم يقول:

- أناشِدُكَ الله يا على إن وليت من أمور الناس أن لا تحمل بنى هاشم على رؤوس المسلمين، وأناشدك الله يا عثمان أن لا تجعل بنى معيط على رقاب الناس، وأناشدك الله يا سعد أن لا تقدم أهلك على سائر العرب، ثم يأمرهم وهو فى النزع الأخير قائلا:

- قوموا وتشاوروا واقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب .

★ ★ ★

آخر وصاياه !!!!

أخذ عمر وهو فى النزع الأخير يملى وصيته فيقول لمن هم حوله من صحابة رسول الله ﷺ، يقول فى آخر وصية له:

- أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أن يعرف حقهم ويحفظ كرامتهم.. وأوصيه بالأنصار خيرا فيقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ويشركهم فى الأمر.. وأوصيه بذمة الله وذمة محمد (أى أهل الذمة) إن بقى بعهدهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم.

ويدعو ابنه ويقول له:

- يا عبد الله، انظر ما علىّ من الديون، فيحصونها ويجدون أنها ستة وثمانون ألف درهم.. فيقول:

- إن كان فى مال آل عمر ما يكفى فأدوه من مالهم وإلا فسل فى بنى عدى فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعد عنهم إلى غيرهم.

ويطرق برهة ثم يقول:

- اذهب إلى عائشة أم المؤمنين يا عبدالله وقل لها إن عمر يقرئك السلام.. ولاتقل أمير المؤمنين، فلست اليوم للمؤمنين أميرا.. وإنه يستأذنك فى أن يدفن مع صاحبيه (أى مع الرسول وأبى بكر).

ولقد ذهب عبد الله إلى عائشة وأبلغها رسالة أبيه فقالت:

- كنت أريد هذا المكان لنفسى وإنى لأوثر به عمر.

وعاد عبد الله فأخبر عمر بما قالت فتهلل وجهه وقال:

- الحمد لله فما كان شيء أهم لنفسى من ذلك، والآن إذا قبضت فاحملونى ميتا واذهبوا بى إلى عائشة وقولوا لها إن عمر يستأذن فى أن يدفن إلى جانب رسول الله وأبى بكر، فإن أذنت فأدخلونى وإلا فردونى إلى مقابر المسلمين بالبقيع.

فلما قيل له إنها أذنت له قال:

- أخشى أن تكون قد ندمت على ما أذنت، أو أن تكون قد أشفقت من أن تجيب رجاء أمير المؤمنين فأعيدوا عليها الكرة وأنا لست أميرا للمؤمنين.

ويستدعى الطبيب بعد ذلك فينظر فى جراحه ويسقيه دواء فيخرج الدواء من شق بطنه، ويسقيه لبنا فيخرج بلونه من ذات الشق فيصارح الجريح بالحقيقة ويقول:

- اعهد يا أمير المؤمنين فليست لى فيك حيلة.

فيجيبه عمر:

- صدقت ولو قلت لى غير ذلك لكذبتك.

وإذ يحس قرب النهاية ويخشى أن يختلف الزعماء على الخلافة بعد موته فيستقدم إليه أبا طلحة الأنصارى والمقداد بن الأسود ويقول للأول:

- لقد أعز الله الإسلام بك يا أبا طلحة فاختر خمسين رجلا من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرهط (يريد عليا، وعثمان، وسعدا وغيرهم) حتى يختاروا واحدا منهم.

ويقول للمقداد:

- كن مع أبى طلحة فإن اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى السادس أن ينزل عليه فاشدخ فى رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة على رأى وخالفهم الاثنان فاضرب رأسيهما، وإن انقسما فريقين متعادلين فحكموا بينهما عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا بعبدالله، فكونوا مع الذين منهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

ويدخل فى دور النزع، فلا يقوى على التفكير فى المسائل العامة فينصرف إلى اعتبارات أقل خطرا، ثم تثقل عليه الحال وتخور قواه فيقول:

- انزعوا الفراش من تحتى واجعلونى على الأرض ووسدوا خدى التراب.

وبلفظ النفس الأخير وهو يهمهم:

- ويلى وويل أمى إن لم يغفر لى ربى.

- ويلى وويل أمى إن لم يغفر لى ربى.

- ويلى وويل أمى إن لم يغفر لى ربى.

روى البخارى عن حفصة وأسلم رضى الله عنهما أن عمر قال:

- اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك ﷺ.

روى البخارى عن المسور بن مخرمة قال:

- لما طعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس، وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ من الله تعالى من به علىّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فإنما ذلك مَنّ من الله جل ذكره من به علىّ، وأما ما ترى من جزعى فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.

روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

دخلت على حفصة قالت: أعلمت أن أباك غير مستخلف؟

قلت: ما كان ليفعل، قالت: إنه فاعل، قال: فحلفت أن أكلمه فى ذلك فسكت حتى خيروه ولم أكلمه قال: فكنت كأنما أحمل بيمينى جبلا حتى رجعت، فدخلت عليه،

فسألنى عن حال الناس، وأنا أخبره. قال: ثم قلت له: إنى سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك: زعموا أنك غير مستخلف وأنه لو كان لك راعى إبل، أو راعى غنم، ثم جاءك وركبها رأيت أن قد ضيع، فرعاية الناس أشد؟

قال: فوافقه قولى، فوضع رأسه ساعة، ثم رفعه إلىّ، فقال:

- إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإنى لئن لا استخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف، قال: فو الله، ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحدا... وإنه غير مستخلف.

فى رواية للبخارى، من كتاب الأحكام، باب الاستخلاف:

أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال:

- وقيل لعمر ألا تستخلف ؟

قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله ﷺ فأثنوا عليه فقال: راغب وراهب، وددت أنى نجوت منها كفافا لا لى ولا علىّ، لا أتحملها حيا أو ميتا.

(راغب وراهب)

الراغب: الطالب.

الراهب: الخائف.

والمراد: أنكم فى قولكم لى هذا القول، إما راغب فيما عنده، أو راهب منى، وقيل: أراد: إننى راغب فيما عند الله وراهب من عقابه.. فلا تعويل عندى على ما قلتم لى من الوصف والإطراء.

روى الطبرانى عن المسور بن مخرمة قال: ولى عمر عشر سنين ثم توفى.

روى الطبرانى عن ابن شهاب قال: مات عمر وهو على رأس خمس وخمسين.

روى الطبرانى عن سالم بن عبدالله قال: مات عمر وهو على رأس خمس وخمسين.

روى الطبرانى عن ابن عمر قال: مات عمر وهو ابن خمس وخمسين وقال: أسرع إلى الشيب من قبل أخوالى بنى المغيرة.

روى الطبرانى عن قتادة، قال: قتل عمر وهو ابن إحدى وستين.

روى الطبرانى عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب مات وهو ابن ست وستين سنة.

روى الطبرانى عن ابن عمر قال:

لما طعن عمر أرسلوا إلى طبيب فجاء رجل من الأنصار فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة التي تحت السرة فقال له الطبيب.

- اعهد عهدك فلا أراك تمسى، فقال: صدقتنى.

روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

- وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكتفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه. قبل أن يرفع، وأنا فيهم.

قال: فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى، فالتفت إليه فإذا هو على، فترحم على عمر وقال:

- ما خلفت أحدا أحب إلى، أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله!! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك.. وذاك أنى كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول:

- «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما».

★ ★ ★

المراجـع

- القرآن الكريم.
- الأحاديث النبوية الشريفة.
- البداية والنهاية.
- البيان والتبيين.
- تنبيه الغافلين.
- المعارف لابن قتيبة.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- الأساس فى السنة.
- عظمة النبى محمد.
- رجال حول الرسول.
- وصايا الرسول.
- الطبقات لابن سعد.
- صور من سير الصحابة.
- حياة الصحابة للكاند هولى.
- تاريخ الخلفاء للسيوطى.
- خلفاء الرسول.
- الكامل لابن الأثير.
- من أصفياء النبى.
- كلمات ومواقف لصحابة رسول الله.

لسعد القاضى

المؤلف : سعد القاضى

- من كتّاب الإذاعة المصرية والعربية منذ عام ١٩٦٥.
- كتب حوالى ٢٩ مسلسلا إذاعيا وثلاثمائة برنامج إذاعى.
- قام بكتابة القصة والسيناريو والحوار لتسعة مسلسلات تليفزيونية.
- نال جائزة أحسن مسلسل تليفزيونى بالرياض عن مسلسل «القيم فى الإسلام».
- تغلب كتابته للإذاعة على الكتابة للتليفزيون وذلك لعشقه الكبير للعمل الإذاعى.
- يعتبر أول كاتب إذاعى تُقدم له برامج طويلة العمر ودليل ذلك «نشرة الأخبار القديمة» التى ما زال يحررها إلي اليوم منذ عام ١٩٨١. وتذاع بإذاعة الشرق الأوسط.
- وأيضا برنامج «القاهرة والتاريخ» الذي يذاع يوميا منذ عام ١٩٨٠ حتى اليوم.
- أعماله الإذاعية متنوعة فكتب المسلسل والسباعية والبرنامج اليومى والسهرات كما كتب للأطفال أكثر من مسلسل إذاعى وتليفزيونى.
- أراد الله به خيرا عندما دخل الكعبة المشرفة وعاش بداخلها لمدة نصف ساعة فتحولت كل أعماله الإذاعية والتليفزيونية فيما بعد إلى أعمال دينية.

ويعد «سعد القاضى» أول كاتب إذاعى يقدم «الدراما الإذاعية» لإذاعة القرآن الكريم عندما قدم له المسلسل الدرامى «رحلة إلى عالم الإيمان والجمال».

أولا: من بين أعماله الإذاعية

١ - مسلسل «الفاروق عمر».
٢ - مسلسل «حواديت فكرى أباظة».
٣ - مسلسل «عظمة النبى محمد».
٤ - مسلسل «إبراهيم الدسوقى».
٥ - مسلسل «الحقوق فى الإسلام».
٦ - مسلسل «راوية الإسلام أبو هريرة».
٧ - مسلسل «الليث بن سعد».
٨ - مسلسل «لمياء بنت العرب».
٩ - مسلسل «نجوى القلوب».
١٠ - مسلسل «حواديت البشرى».

١١ - مسلسل «أوصنى يا رسول الله».
١٢ - مسلسل « الإنسان والأنبياء».
١٣ - مسلسل «القيم فى الإسلام».
١٤ - مسلسل «لحظة إشراق».
١٥ - مسلسل «تنبيه الغافلين».
١٦ - مسلسل «خادم رسول الله».
١٧ - مسلسل «ليالى القاهرة».
١٨ - مسلسل «رحلة الإيمان والجمال».
وعشرات الأعمال الأخرى.

ثانيا: من بين الأعمال التليفزيونية

١ - مسلسل «نور الإيمان».
٢ - مسلسل «علماء العرب الأوائل».
٣ - مسلسل «القيم فى الإسلام».
٤ - مسلسل «لحظة إشراق».
٥ - مسلسل «الطير والحيوان فى القرآن».
٦ - مسلسل «رحلة ابن البيطار مع الزهور والأشجار».
٧ - قاموس الدميرى فى الطير والحيوان (المرشح لجائزة الدولة التشجيعية).
٨ - حواديت لفكرى أباظة.
٩ - عظماء الإسلام.

من مؤلفاته:

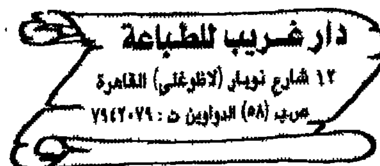
- كتاب كلمات عاشت لصحابة الرسول.
- بهريز الدرر العربية.
- رجل بملايين الرجال «عمر بن الخطاب».
- القاهرة .. والتاريخ.
- القيم فى الإسلام.
- الرمز.
- رموز مصر المحروسة (٤ أجزاء).
- غواص فى بحر الأمثال العربية.
- كتاب «مائة من الصحابة وقائدهم محمد ﷺ».

★ ★ ★

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة



هذا الكتاب



سعد القاضي

إنه عمر .. عمر بن الخطاب ..

عملاق الإسلام وجبار الجاهلية ، الذى قال عنه رسول الله ﷺ : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب «خاصة» .

وقال عنه الصحابة : كان إسلامه فتحًا وكانت هجرته نصرًا وكانت إمارته رحمة .

لقد كان يوم أسلم العضو الأربعين بين رجال هذه الجماعة المؤمنة ولا يكاد يمضى على إسلامه لحظات .. أجل لحظات .. حتى ينتفض فى قلبه الشجاع إحساسه بالمسئولية عن الدين كله ، وعن هذه الجماعة المسلمة – التسعة والثلاثين الذين أسلموا قبله – بل ومسئوليته عن مستقبل الدين وأهله عبر القرون الآتية ، فيخرج معلنًا إسلامه وإسلامهم .. ولا تقف مسئولية عمر عن هذا الدين بإعلان إسلامه بل تجاوز ذلك إلى إخراج المسلمين من الخفاء إلى العلن وهو يقول لرسول الله ﷺ : «والله يا رسول الله لن نعبد الله سرًا بعد اليوم» . وتخرج الدعوة لتلقى قريش من تكبيراتها المدوية أولى الكلمات فى منشور نعيها ونعى أصنامها .

إنه عمر بن الخطاب الذى قال عنه ابن مسعود : لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلى . وقال عنه : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

هانى أحمد غريب

